الوارث
توزع مجاناً
٤٨
تشرين الثاني - كانون الأول ٢٠١٢م
محرم ١٤٣٤هـ
مجلة شعرية دينية ثقافية تصدر عن
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة
حسين
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

قطوف دانية من السيرة الحسينية ٢
التوحيد ومعرفة الله تعالى
عند الإمام الحسين (عليه السلام) -الحلقة الثانية-

شبهات حول القرآن ٤
الطوفان أراده الله تعالى

على ضفاف نهج البلاغة ٦
أتباع الشيطان من الإنس وصفاتهم وبعض أعيانهم

مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية ٨
ردّ الهجوم عن شعائر الإمام الحسين (عليه السلام) المظلوم

أخلاقك هويتك ١٠
كبر النفس وصلابتها

مباحث عقائدية ١٢
القرآن وعدالة الله

أعلام الشيعة ١٤
محمد بن عثمان بن سعيد العمري
السفير الثاني للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

معاجز أهل البيت (عليهم السلام) وكراماتهم ١٦
وضوء أمير المؤمنين (عليه السلام) من ماء الجنة

من مناهل مدرسة الدعاء ١٧
على مائدة الصحيفة السجادية -الحلقة التاسعة عشر-

فقه الأسرة وشؤونها ١٨
منزلة الأب

عبر من التاريخ ٢٠
فليكن كل عملك لله تعالى

معارف عامة ٢١
مرض الإكتئاب أسبابه وطرق علاجه

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير
السيد نبيل الحسني

مدير التحرير
الشيخ وسام البلداوي

هيئة التحرير
محمد رزاق السعدي
السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي
خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني
السيد علي ماقيثة
أحمد محسن المؤذن

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
-وزارة الثقافة لسنة ١٢١١: ٢٠٠٩

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

...كلمة العدد...

مسؤوليتنا تجاه
ثورة الإمام الحسين عليه السلام ويوم عاشوراء

هاهي أيام محرم الحرام قد وصلت لتعلن تجدد موسم الحزن والألم والمصيبة ، والفاجعة التي أدمت وأبكت أهل السموات والأرضين... وها هي ذكرى أخرى من ذكرياته قد أقبلت تستدر الدموع من الأعماق، وتعتصر القلوب حزنا على الشهيد المقتول بأرض كربلاء... الشهيد الذي رأى دينا لا يستقيم إلاّ ببذل مهجته ودمه الطاهر، ورأى أُمّة أشدّ ما تكون احتياجاً للإصلاح... فتحرك ركبه من مدينة جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم متوجهاً إلى مكّة ومنها إلى كربلاء، كربلاء التي استقبلت أقدامه الكريمة، واستقر فيها دمه ودماء أهل بيته المظلومين فأصبحت قبلة تهش إليها الأرواح وتهوي إليها القلوب.

والإمام الحسين عليه السلام ضمن بدمه بقاء الإسلام واستمرار أحكامه، فلولاه ولولا دمه ودماء أهل بيته وأصحابه عليه وعليهم السلام لما بقي اليوم على وجه البسيطة مسلم يقول «لا اله إلا الله»، وعليه فللإمام الحسين عليه السلام وليوم عاشوراء حق في رقبة كل مسلم، وكل واحد منا نحن العارفين بحق سيد الشهداء توجد في رقبته مسؤولية تجاه سيد الشهداء وتجاه ثورته العظيمة، ونستطيع ان نلخص بعض هذه المسؤوليات فيما يلي:

١: إحياء شعائر يوم عاشوراء بكل ما للشعائر من معنى ومفهوم ومصداق، لان المشاركة في استمرارية الثورة وإحيائها دائما فيه إحياء للدين، فحياة عاشوراء حياة الدين.

٢: إيصال صوت الإمام الحسين عليه السلام وصوت ثورته ومبادئها وأهدافها وانجازاتها إلى العالم أجمع بشتى الوسائل وتحتلف الطرق الممكنة.

٣: إقامة المجالس الحسينية على وجه الخصوص، ومن لا يستطع إقامتها في الحسينيات والمحافل العامة فليقمها في بيته وسيرى بركاتها وآثارها واضحة بينة.

٤: مشاركة الإمام الحسين عليه السلام بالأموال، عن طريق إنفاقها على مجالسه وشعائره، وطباعة الكتب، وإقامة برامج القنوات الفضائية الدينية، وغير ذلك من الطرق التي لها ارتباط بيوم عاشوراء وثورة الإمام الحسين عليه السلام لينال المؤمن الخير الوفير والأجر الجزيل في الدنيا والآخرة.

٥: والاهم من ذلك كله الالتزام بتكاليف الشرع المقدس من الصلاة والعفة ومراعاة الحجاب بالنسبة للنساء وان يخلصوا نواياهم ويراعي بعضهم بعضا ويشعروا قلوبهم الرحمة والشفقة لجميع الموالين لتنزل عليهم بركات الله سبحانه ويرحمهم لان الله يرحم الرحماء ويتقبل من الأتقياء المخلصين.

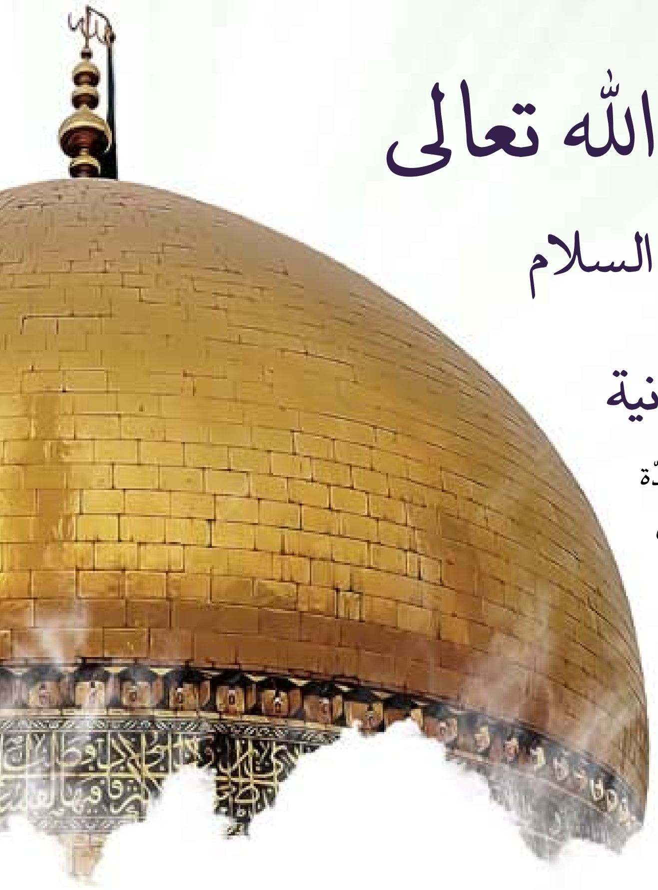

التوحيد ومعرفة الله تعالى عند الإمام الحسين عليه السلام

الحلقة الثانية

أعداء الله ورسوله والملائكة

قيل: لَمّا قَدِمَ النَّبيُّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المَدينَةَ أتَوْهُ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ صُوريا، فقال: يا محمّد كيف نومك؟ فإنّا قد أخبرنا عن نور النّبي الذي أتي في آخر الزّمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تنام عيني وقلبي يقظان، قال صدقت يا محمد.

قال: أخبرني يا محمّد: الولد يكون من الرّجل أو من المرأة؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أمّا العظام والعصب والعروق فمن الرّجل، وأمّا اللحم والدّم والشعر فمن المرأة، فقال: صدقت يا محمّد.

ثمّ قال: يا محمّد فما بال الوالد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء، ويشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيّهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشّبه له، فقال: صدقت يا محمد.

فأخبرني عمّن لا يولد له ومن يولد له؟ فقال: إذا مغرت النّطفة لم يولد له - أي إذا احمرّت وكدرت - وإذا كانت صافية ولد له.

فقال: أخبرني عن ربّك ما هو؟ فنزلت: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ))(1)

قال ابن صوريا: صدقت يا محمّد، بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك، أيّ ملك يأتيك بما تقوله عن الله؟ قال: جبرئيل.

قال ابن صوريا: كان ذلك عدوّنا من بين الملائكة، ينزل بالقتل والشدّة والحرب، ورسولنا ميكائيل يأتي بالسّرور والرّخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنّا بك، لأنّ ميكائيل كان يشد ملكنا، وجبرئيل كان يهلك ملكنا، فهو عدوّنا لذلك.

فقال له سلمان الفارسي:

فما بدؤ عداوته لك؟ قال: نعم يا سلمان عادانا مراراً كثيرة، وكان من أشدّ ذلك علينا أنّ الله أنزل على أنبيائه أنّ بيت المقدس يخرب على يد رجل يقال له: بخت نصر وفي زمانه، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه، والله يحدث الأمر بعد الأمر فيمحو ما يشاء ويثبت، فلمّا بلغنا ذلك الحين الذي يكون فيه هلاك بيت المقدس، بعث أوائلنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل وأفاضلهم نبيّاً كان يعدّ من أنبيائهم يقال له دانيال في طلب بخت نصّر ليقتله، فحمل معه وقر مال لينفقه في ذلك، فلمّا انطلق فيه طلبه لقيه ببابل غلاماً ضعيفاً مسكيناً ليس له قوّة ولا منعة، فأخذه صاحبنا ليقتله، فدفع عنه جبرئيل وقال لصاحبنا: إن كان ربّكم هو الذي أمر بهلاككم فإنّه لا يسلّطك عليه، وإن لم يكن هذا فعلىّ أيّ شيء تقتله؟

فصدّقه صاحبنا وتركه ورجع إلينا وأخبرنا بذلك، وقوي بخت نصّر وملك وغزانا وخرّب بيت المقدس؛ فلهذا نتّخذه عدوّاً، وميكائيل عدوٌّ لجبرئيل.

فقال سلمان: يا ابن صوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتم، أرأيتم أولئكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصّر وقد أخبر الله في كتبه وعلى ألسنة رسله أنّه يملك ويخرّب بيت المقدس؟ أرادوا تكذيب أنبياء الله تعالى في أخبارهم واتّهموهم في أخبارهم أو صدّوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله؟ هل كان هؤلاء ومن وجّهوه إلاّ كفّاراً بالله؟ وأي عداوة تجوز أن يعتقد لجبرئيل وهو يصدّ عن مغالبة الله عزّ وجل وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى؟

فقال ابن صوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه، لكنّه يمحو ما يشاء ويثبت.

قال سلمان: فإذاً لا تثقوا بشيء مما في التوراة من الأخبار عمّا مضى وما يستأنف فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت، وإذاً لعلّ الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطالا في دعوتهما أنّ الله يمحو ما يشاء ويثبت، ولعل كل ما أخبراكم أنه يكون لا

يكون، وما أخبراكم أنّه لا يكون يكون، وكذلك ما أخبراكم عمّا كان لعله لم يكن، وما أخبراكم أنّه لم يكن لعله كان، ولعلّ ما وعده من الثواب يمحوه، ولعل ما توعّد به من العقاب يمحوه، فإنّه يمحو ما يشاء ويثبت، إنكم جهلتم معنى يمحو الله ما يشاء ويثبت؛

فلذلكم أنتم بالله كافرون، ولأخباره عن الغيوب مكذّبون، وعن دين الله منسلخون.

ثم قال سلمان: فإنّي أشهد أنّ من كان عدوّاً لجبرئيل فإنّه عدوٌّ لميكائيل، وأنهما جميعاً عدوّان لمن عاداهما، سلم لمن سالمهما، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقاً لقول سلمان رحمة الله عليه: (قل من كان عدوّا لجبريل) في مظاهرته لأولياء الله على أعدائه، ونزوله بفضائل علي ولي الله من عند الله، (فإنه نزّله)، فإن جبرئيل نزّل هذا القرآن (على قلبك بإذن الله)، وأمره (مصدّقا لما بين يديه) من سائر كتب الله، (وهدىً) من الضلالة، (وبشرى للمؤمنين)، بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وولاية علي ومن بعده من الأئمة بأنّهم أولياء الله حقّاً إذا ماتوا على موالاتهم لمحمّد وعليّ وآلهما الطيّبين.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان إنّ الله صدّق قيلك ووفّق رأيك، فإنّ جبرئيل عن الله يقول: يا محمّد إنّ سلمان والمقداد أخوان متصافيان في ودادك ووداد علي أخيك ووصيّك وصفيّك، وهما في أصحابك كجبرئيل وميكائيل في الملائكة، عدوّان لمن أبغض أحدهما، وليّان لمن والاهما، ووالى محمّداً وعليّاً، عدوّان لمن عادى محمّداً وعليّاً وأولياءهما، ولو أحبّ أهل الأرض سلمان والمقداد كما تحبّهما ملائكة السماوات والحجب والكرسيّ والعرش لمحض ودادهما لمحمّد وعليّ وموالاتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما لما عذّب الله تعالى أحداً منهم بعذاب البتّة.

قال الحسين بن علي عليهما السلام: «فَلَمّا قالَ ذلكَ رَسُولُ اللّه صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلّم في سَلْمَانَ وَالْمِقْدادَ، سَرَّ به الْمُؤْمِنُونَ وَانْقادُوا، وَساءَ ذلِكَ الْمُنافِقينَ فَعانَدُوا وَعابُوا وَقالوا:

يمدح محمّد صلى الله عليه وآله وسلم الأباعد ويترك الأدنين من أهله لا يمدحهم ولا يذكرهم.

فاتّصَلَ ذلكَ بِرَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم وقال: ما لهم لحاهم الله يبغون للمسلمين السّوء؟ وهل نال أصحابي ما نالوه من درجات الفضل إلاّ بحبّهم لي ولأهل بيتي؟ والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّكم لم تؤمنوا حتّى يكون محمّد وآله أحبّ إليكم من أنفسكم وأهاليكم وأموالكم ومن في الأرض جميعاً، ثمّ دعا بعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فعمّهم بعبايته القطوانيّة ثمّ قال: هؤلاء خمسة لا سادس لهم من البشر.

ثمّ قال: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم، فقامت أمّ سلمة فرفعت جانب العباءة لتدخل فكفّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لست هناك وأنت في خير وإلى خير، فانقطع عنها طمع البشر، وكان جبرئيل معهم، فقال: يا رسول الله وأنا سادسكم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نعم (و) أنت سادسنا، فارتقى السّماوات وقد كساه الله من زيادة الأنوار ما كادت الملائكة لا تثبته حتّى قال: بخٍ بخٍ، من مثلي؟ أنا جبرئيل سادس محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فذلك ما فضّل الله به جبرئيل على سائر الملائكة في الأرضين والسّماوات.

قال: ثمّ تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بيمينه والحسين بشماله فوضع هذا بعضهما إلى بعض يتجاذبان، ثمّ اصطرعا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحسن: أيهاً أبا محمّد فيقوي الحسن فيكاد يغلب الحسين، ثمّ يقوي الحسين فيقاومه، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسل الله أتشجّع الكبير على الصّغير؟

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة أ ما إنّ جبرئيل وميكائيل كلّما قلت للحسن: أيهاً أبا محمّد، قالا للحسين: أيهاً أبا عبد الله، فلذلك قاما وتساويا، أما إنّ الحسن والحسين لمّا كان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أيهاً أبا محمد)، ويقول جبرئيل: أيهاً أبا عبد الله، لو رام كلّ واحد منها حمل الأرض بما عليها من جبالها وبحارها وتلالها وسائر ما على ظهرها لكان أخفّ عليهما من شعرة على أبدانهما، وإنّما تقاوما لأنّ كلّ واحد منهما نظير الآخر، هذان قرّتا عيني وثمرتا فؤادي، هذان سند ظهري، هذان سيّدا شباب أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، وأبوهما خير منهما، وجدّهما رسول الله خيرهم أجمعين.

قال عليه السلام: فلمّا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قالت اليهود والنّواصب: إلى الآن كنّا نبغض جبرئيل وحده، والآن قد صرنا أيضا نبغض ميكائيل؛ لادّعائهما لمحمّد وعليّ إيّاهما ولولديه، فقال تعالى:

((مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ))[٢]

---

(١) سورة الإخلاص.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٨.
المصدر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص٥٤٥ ـ ٥٥٠.

الطوفان أراده الله تع

نقض فرضية الشمول

يقول (ولتر) ـ الكاتب والناقد الفرنسي (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨م) بصدد تسخيف أُسطورة الطوفان على ما وصفته التوراة ـ: كان يجب لمثل هذا التضخّم من الماء المتراكم على وجه الأرض أنْ تضمّ اثنا عشر بحراً، كلّ في سعة البحر الأطلانتي المحيط، بعضها فوق بعض ليكون الأعلى في حجم أكبر بأربع وعشرين ضعفاً، وهكذا حتّى تجتمع في مثل هذا الماء المتراكم ليغمر شامخات الجبال!

ويزيد ـ مستخفّاً عقليّة مسطّر هذه الأساطير وناقماً على الذين اعتنقوها باعتبارها وحياً من السماء (وحاشاه) ـ: يكفي بذلك معجزة خالدة لا حاجة معها إلى سائر المعاجز، حيث لا مثيل لها في خرق نواميس الكون!!.

ويقول آخر: إنّ المحاسبات العلميّة الدقيقة تُعطينا: أنّ الأبخرة المنبثّة في أجواء الأرض لو تكثّفت جميعاً وهطلت أمطاراً لما كانت تكفي لأنْ تغمر وتعلو عن وجه الأرض بأكثر من بضع سانتي مترات، فكيف بجبال شامخات؟!

يقول الدكتور (شفا): لو كانت السماء تهطل بأمطارها أربعين صباحاً ـ كما هو نصّ التوراة ـ لما كاد أنْ يغمر هضبة ما بين النهرين ـ على صغرها ـ فكيف بغمر وجه الأرض وأنْ يعلو قمم الجبال؟!

وجبل (آرارات) يرتفع عن سطح البحر بأكثر من خمس كيلو مترات ما يكاد أن يغمره، فكيف بسائر الجبال الشامخة؟![1].

الطوفان ظاهرة طبيعيّة حيث أرادها الله

نعم، كان حادث الطوفان ظاهرة طبيعيّة وعلى ما وصفه القرآن ممّا لا يكاد الغمز فيه.

كان قد مرّ على حياة الأرض في أدوارها الأولى كثير من تغيّرات جوّية مفاجئة، كان وجه الأرض مسرحاً لتناوب هطول أمطار غزيرة، وسيول هائلة منحدرة من أعالي الجبال كادت تغمّ الهضاب والوديان والمناطق المنخفضة من سطح الأرض.

وكان طوفان نوح إحدى تلكم الظواهر الكونيّة حدثت بإذن الله:

((فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)).

فانحدرت سيول هائلة على سفوح الجبال، وتفجّر ينابيع الأرض المُشبعة بالأمطار، وهكذا أحاط الماء الهائم بقوم نوح وسدّ عليهم طرق النجاة، وحتّى ابن نوح حاول اللجوء إلى أعالي المرتفعات لولا أنْ جابهته سيول هائجة لتصرعه إلى حيث مَهوى الهلاك، بل وحتّى لم يجد فرصة التريّث فيما كان ينصحه أبوه، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين.

وفي تواريخ الأُمم ما يُسجّل حدوث طوفانات هائلة جرفت بقسط من الحياة؛ ولعلّه لتراكم الفساد والشرّ في تلكم البقاع، فمِن قدماء الفرس: أنّ طوفاناً هائلاً غمّ أرض العراق إلى حدود كردستان، وهكذا رُوي عن قدماء اليونان، والهنود أثبتوا وقوع الطوفان سبع مرّات شمل شبه الجزيرة الهنديّة، ويُروى تعدّد الطوفان عن اليابان والصين والبرازيل والمكسيك وغيرهم، ويُروى عن الكلدانيّين ـ وهم الذين وقع طوفان نوح في بلادهم ـ:

أنّ المياه طغت على البلاد وجرفت بالحرث والنسل، فقد نقل عنهم (برهوشع) و(يوسيفوس): أنّ (زيزسترورس) رأى في الحُلم بعد موت أبيه (أوتيرت) أنّ المياه ستطغى وتُغرق الناس كلّهم ـ ممّن كان يعيش هناك طبعاً ـ فأُمر بصنع سفينة يعتصم فيها هو وذووه ففعل، وقد كان هناك جبابرة طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد فعاقبهم الله بالطوفان والاستئصال.

وقد عَثر بعض الإنجليز على ألواح من الآجر نُقشت فيها هذه الرواية بالحروف المسماريّة في عصر (آشور بانيبال) من نحو (٦٦٠) سنة قبل ميلاد المسيح، وأنّها منقولة من كتابة قديمة من القرن السابع عشر قبل الميلاد أو قبل ذلك، ومِن ثَمّ فهي أقدم من كتابة سِفر التكوين (يرجع تدوينه إلى عام ٥٣٦ قبل الميلاد بعد الرجوع من سبي بابل).

عالى

ويروي اليونان خبراً عن الطوفان أورده (أفلاطون) وهو: أنّ كَهَنة مصر قالوا للحكيم اليوناني (سولون) أنّ السماء أرسلت طوفاناً غيّر وجه الأرض مراراً، فهلك الناس ـ ممّن عمروا البلاد في المنطقة ـ وانمحت آثارهم ولم يبق للجيل الجديد شيء من تلكمُ الآثار والمعارف.

وأورد (مانيتيون) خبر طوفان حدث بعد (هرمس) الأوّل ـ الذي كان بعد (ميناس) الأوّل ـ، وهو أقدم من تأريخ التوراة أيضاً[٢].

وهكذا جاء خبر الطوفان في (أُوستا) كتاب المجوس.

وجاء في كتاب (تأريخ الأدب الهندي) الجزء الأوّل المختصّ بالثقافة الوثنيّة الهنديّة، للسيّد أبي نصر أحمد الحسيني البهوبالي الهندي (مخطوط) ص٤٢ و٤٣، في الباب الخامس، وعنوانه (برهمانا وأوبانبشاء):

وممّا يلفت النظر في (ساتا بانا برهمانا) قصّة الطوفان، التي بُيّنت في ضمن الضحايا، والقصّة وإنْ اختلفت من وجوه كثيرة عمّا في القرآن والتوراة، وإن لم توجد شواهد قاطعة تربط القصّة الهنديّة مع الساميّة، توجب الاهتمام..

ففي هذه القصّة البرهمانيّة يقوم (مانو) بدور نبيّ الله نوح (عليه السلام) في القرآن وفي التوراة، و (مانو) اسم نال التقديس والاحترام في أدب الثقافة بأسره من الوثنيّين، فهو: ابن الله، ومصدر جميع الناس وجدّهم الأسطوري.

وخلاصة القصّة: أنّه بينما كان (مانو) يغسل يديه إذ جاءت في يده سَمكة، وممّا اندهش به (مانو) أنّ السمكة كلّمته وطلبت إنقاذها من الهلاك، ووَعَدته جزاءً عليه أنّها ستنقذه في المستقبل من خطر عظيم، والخطر العظيم المُحدق الذي أنبأت به السمكة كان طوفاناً سيجرف جميع المخلوقات؛ وعلى ذلك حَفَظ (مانو) السمكة في (المرتبان)، فلمّا كَبُرت السمكة أخبرت (مانو) عن السنة التي سيأتي فيها الطوفان، ثمّ أشارت عليه أن يصنع سفينة كبيرة، ويدخل فيها عند طغيان الماء، قائلةً: أنا أُنقذك من الطوفان، فمانو صنع السفينة، والسمكة كبُرت أكثر من سعة (المرتبان)؛ لذلك ألقاها (مانو) في البحر.

ثمّ جاء الطوفان كما أنبأت السمكة، وحين دخل (مانو) السفينة، عامت السمكة إليه، فربط السفينة بقرن على رأس السمكة، فجرّتها إلى الجبال الشماليّة، وهنا ربط (مانو) السفينة بشجرة، وعندما تراجع الماء وخفّ بقي (مانو) بوحدته[٣].

فذلك الكلام: إنّ فيما أنبأت به الأُمم وحدّثت به الأجيال من حوادث جوّية خطيرة، داهمت الحياة البشريّة الأُولى وكان فيها الهلاك والدمار ومنها حادث الطوفان في كرّات ومرّات، ليُشْرِف بالاطمئنان على تحقّق الحادث إجماليّاً، ولو لم يكن بذلك الشكل الأساطيري المنقول، شأن سائر القصص البائدة حِيكت حولها مخاريف، الأمر الذي لا يوجب إنكارها من رأس، ولا سيّما أنّ مثل حادث الطوفان كان طبيعيّاً أنْ يهاجم حياة الإنسان، ويواجهه بالنكبات في الأيام الأُولى بكثرة، ولا يزال ينتاب وجه الأرض بعد حينٍ وآخر.

وربما كان مِن أعظمها وأشملها طوفان نوح، عمّ المنطقة ودمّر وأباد، هذا شيء لا مساغ لإنكاره، بعد كونه طبيعيّاً وأخبر به الصادق الأمين.

أمّا الزيادات التي جاءت في الأساطير القديمة ونقلتها التوراة على عِلاّتها فهذا شيءٌ نستخلص منه وننبذه، كما نبذه القرآن واستخلص الحادث صافياً جليّاً، الأمر الذي اختصّ به القرآن وكان نبأً غيبيّاً لا يعلمه أيّ إنسان ذلك الحين[٤].

((تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا ...)).

---

(١) الدكتور شجاع الدين شفا في كتابه (تولّدي ديكر): ص٢٨٥، منتقداً قصّة الطوفان على ما وردت في الكتب الدينيّة.

(٢) تفسير المنار لمُحمّد عبده: ج١٢، ص١٠٥.

(٣) قصص الأنبياء للنجّار: ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٤) شبهات وردود حول القران الكريم: الشيخ محمد هادي معرفة.

أتباع الشيطان من الإنس وصفاتهم وبعض أعيانهم

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لأَمْرِهِمْ مِلاكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ».

هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام على رغم قصره إلا انه يصور بدقة أتباع الشيطان وكيفية نفوذه إليهم، ومن ثم تبين الآثار الوخيمة والعواقب المشؤومة والطرق التي يسلكها الشيطان في التغلغل إلى الإنسان والإلقاء به في شباكه وحبائله، فيتلاعب به كيفما يشاء.

والحق أنّ فيه تحذير جدي لأتباع الحق في ضرورة توقي الحيطة والحذر من تسلل الشيطان والوقوف بوجهه حال الشعور بأدنى آثاره.

والخطبة وإن تحدثت عن بعض الأفراد من قبيل طلحة والزبير أو معاوية وأهل الشام أو أصحاب النهروان الذين سقطوا في فخ الشيطان، إلاّ أنّها لا تقتصر عليهم البتة، بل هي رسالة واضحة (لكافة الأفراد) من أجل مراقبة الشيطان وعدم فسح المجال أمامه.

فقد تكفّلت الخطبة بتبيين المراحل التي يعقبها تسلل الشيطان في أتباعه، حيث شرحها الإمام (عليه السلام) بما عرف عنه من فصاحة وبلاغة وتشبيه رائع بحيث لا يمكن تقديم صورة فنية أروع من تلك التي رسمها الإمام (عليه السلام).

فقد أشار في المرحلة الأولى إلى أنّ هذا التسلل والنفوذ إلى الإنسان إختياري ولا يمت بصلة إلى الإجبار. فالإنسان هو الذي يعطيه الضوء الأخضر ويدعه يلجه ويتصرف بوجوده حتى يجعله ملاكاً ومعياراً لنشاطاته وفعالياته «إتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً».

فملاك من مادة ملك بمعنى أساس الشيء ودعامته، كأن يقال القلب ملاك البدن، أي أن أساس وقوام البدن هو القلب وهذا هو الأمر الذي أشار إليه القرآن الكريم بوضوح على لسان آياته (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ❖ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ).

بناءاً على هذا فالعبارة المذكورة كالآيات القرآنية بمثابة رد على أولئك الذين يتساءلون عن سلطة الشيطان على بني آدم فيقولون: كيف سلط الله سبحانه هذا المخلوق الخطير على الإنسان ثم طالبه بعدم إتباعه.

فالعبارة تقول أنّ الشيطان لا يخترق الجدران غيلة، بل يأتي من الباب ويطرقها فان فتح له ولج وإلاّ عاد من حيث أتى. صحيح أنّه يصر على طرق الباب دون الشعور بالكلل والملل، لكن بالمقابل هنالك الملائكة الذين يهبون لنجدة الإنسان ويحذروه من مغبة فتح الباب.

ثم أشار في المرحلة الثانية إلى الانتخاب الذي يتولاه الشيطان بعد ذلك الانتخاب حيث يصطفى هؤلاء كأعوان وشركاء «واتخذهم له اشراكاً» ثم وضح (عليه السلام) ذلك بقوله: «فباض وفرخ في صدورهم». فالإمام (عليه السلام) يشبه صدور تبعة الشيطان بعش إبليس الذي يبيض فيه ويفرخ.

ثم قال (عليه السلام): «و دب ودرج في حجورهم» وقد صرّح بعض شرّاح نهج البلاغة بان دب من مادة الدبيب بمعنى الحركة البطيئة الضعيفة، والدرج الحركة الأقوى منها كحركات الطفل في حضن اُمه. ولعل التعبير بدرج إشارة إلى حقيقة وهي أنّ الأفكار والعادات الشيطانية ليست طارئة ومفاجئة على الإنسان؛ بل تتجذر فيه بصورة تدريجية؛ كما عبر عنه في حذر المؤمنين منها حيث يتسنى له اقتياد الإنسان خطوة فخطوة نحو الفساد والضلال والكفر.

ثم قال عليه السلام: «فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم». أي أنّ هذه البيوض والفراخ الشيطانية ستنمو وتترعرع حتى تتبدل إلى شياطين تتحد معهم بحيث تنفذ في جميع أعضائهم وجوارحهم حتى يعيشون الأزدواج في شخصياتهم، فهم من جانب إنسان، ومن آخر شيطان، ظاهرهم إنساني أمّا باطنهم شيطاني. عيونهم وآذانهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم أدوات تأتمر بأوامر الشيطان، فمن الطبيعي أن يروا جميع الأشياء بصيغة شيطانية.

أمّا في المرحلة الرابعة فيتناول (عليه السلام) النتيجة النهائية لهذه المسيرة التدريجية المنحرفة فيقول: «فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل» ويشبه هذا الكلام ما أورده الإمام (عليه السلام) في موضع آخر من نهج البلاغة «ألا وأنّ الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها».

ثم قال (عليه السلام) في المرحلة الأخيرة «فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه» وفيه إشارة إلى أنّ أعمال هؤلاء تدل بوضوح على أنّ الشيطان استحوذ عليهم فتصرف فيهم كيف يشاء. فحديثهم حديث الشيطان ونظرهم نظر الشيطان وبالنتيجة فان بصمات الشيطان متجسمة فيهم، والواقع هو أنّ الإمام (عليه السلام) أراد في هذه المرحلة أن يعرف هؤلاء الأفراد من خلال أعمالهم الشيطانية.

ويبدو أنّ مراده (عليه السلام) بعض الأفراد كطلحة والزبير وأنصارهما وأصحاب معاوية والخوارج ومن كان على شاكلتهم، رغم أنّ الكتب المعروفة لشرح نهج البلاغة وأسانيدها لم تتعرض إلى الأفراد أو الطوائف المقصودة بكلام الإمام (عليه السلام). مع ذلك فالكلام دقيق وعميق ولا يختص بطائفة معينة، بل يشمل كل من وضع رجله على مسار الشيطان وخضع لسيطرته وامتثل أوامره.

خطط الشياطين

الذي تفيده الآيات القرآنية أنّ الشيطان قد سقط وانحرف بسبب حب الذات والكبر، فحب الذات والكبر دفعه للتمرد على أمر الله والامتناع عن السجود لآدم (عليه السلام)، فلم يرتكب المعصية فحسب، بل إتّهم علم البارئ سبحانه وحكمته ليهوي في وادي الشرك والضلال.

لقد سأل الله النظرة إلى يوم القيامة فأجابه الله بالنظرة إلى يوم الوقت المعلوم ليتم تمحيص العباد، أو بعبارة أُخرى فكما أنّ وجود الشهوات المركبة في الإنسان البشرية ومقاومة العقل والإيمان تجاه القوى المخالفة إنّما تضاعف قدرة الإنسان في مسار الطاعة لله؛ فانّ الوساوس الشيطانية الخارجية ومجابهتها من قبل الإنسان إنّما تقوده إلى السمو والتكامل؛ وذلك لأن وجود العدو إنّما يشكل العامل الذي يقف وراء حركة الإنسان وقوته وتطوره وتكامله. إلاّ أنّ هذا لا يعني أنّ للشيطان نفوذ إجباري في الإنسان، بل الإنسان هو الذي يمهد لهذا النفوذ، فقد صرّح القرآن الكريم بهذا الشأن قائلا: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)، وقال في موضع آخر: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) كما صرّحت إحدى الآيات القرآنية على لسان الشيطان أنّه قال: (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ).

والجدير بالذكر أنّ الله سبحانه قد خلق جنودا للقضاء على وساوس الشيطان ومخططاته، ومنها العقل والفطرة والأنبياء والملائكة التي تتولى حفظ المؤمنين وطرد الوساوس الشيطانية عنهم.

فكل من سار على درب هذه الجنود حظى بدعمها وإسنادها وأبعد عنه وساوس الشيطان، ومن سار على درب الشياطين وأقام على العناد واللجاجة رفعوا أيديهم عنه. القضية الأُخرى الجديرة بالاهتمام هي أنّ الشيطان يسعى للنفوذ في أعماق النفس البشرية ليؤثر من هناك على أعماله، كما أُشير لهذا في الخطبة المذكورة وكأنه باض وفرخ في الصدور فتكاملت الفروخ شياطين إتحدت معه حتى عاد نظره وسمعه وقوله ويده ورجله شيطانياً.

وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في غرر الحكم أنّه قال: «احذروا عدوا نفذ في الصدور خفياً ونفث في الاذان نجياً» كما ورد شبيه هذا المعنى. مع فارق طفيف. في الخطبة ((٨٣)) من نهج البلاغة.

كما قال (عليه السلام) في الخطبة ((١٢١)) من نهج البلاغة: «إنّ الشيطان يسني لكم طرقه ويريد أن يحل لكم دينكم عقدة عقدة».

على كل حال فان الغرض من الخطبة هو تحذير الإنسان من عدوه اللدود الشيطان الذي تعود جذور عدائه منذ خلق آدم (عليه السلام).

وضرورة التوكل على الله والاتكاء على العقل والفطرة والوجدان والاستضاءة بإرشادات الأنبياء وتعاليمهم والاستمداد من الملائكة بغية حفظ الإنسان لنفسه من وساوس الشيطان.

وأخيراً فالنقطة التي أرى ضرورة التعرض لها وعلى ضوء صريح بعض الآيات القرآنية أنّ الشياطين ليست منحصرة بإبليس وجنوده السريين، بل هناك مجموعة من الإنس التي تشملها الشياطين، فأعمالهم هي أعمال الشياطين بعينها (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً).

ردّ الهجوم عن شعائر الإمام الحسين عليه السلام المظلوم

لا ريب أنّ فاجعة الطفّ أعظم فاجعة بكاها التاريخ، فإنّه لم يسمع أنّ جماعة قليلة اجتمع عليهم الآلاف الكثيرة، ومنعوهم الماء مع عيالاتهم وأطفالهم وهم على الماء، حتّى قتلوا مع كثير من أطفالهم عطاشى! ثمّ مُثّل بهم بعد القتل، وداست الخيل صدورهم وظهورهم، وقُطّعت رؤوسهم، وطيف بها في البلدان، وتُركت أجسادهم منبوذة بالعراء مسلوبة الثياب، ونُهبت أموالهم، وسلبت نساؤهم وأطفالهم بعد حرق الخيام عليهم، وسيّرتهم أسارى على الأقتاب بلا غطاء ولا وطاء. و هذا ممّا لم يفعله من له أقلّ مساس بالإنسانية وإن كان من أكفر الكافرين وأعظم الملحدين. ولكن لا يؤمّل من يزيد وابن زياد خير منه، فإنّ آنية اللؤم والخَنا لا تنضح إلاّ بما فيها.

فيجب علينا تحصيلاً لهذه الغاية أن نتظاهر بالحزن عليه، كما وجب عليه الإقدام على الموت لأجلها، وإلاّ فقد كان يمكنه أن يبايع يزيد قبل قتله، ويحفظ نفسه وأهل بيته وأصحابه من القتل.

وكلّما ازداد التظاهر بالحزن عليه وبيان مظلوميّته، كان في تحصيل الغاية أكثر، ولذا ترى أعداء آل محمّد صلى الله عليه واله وسلم يبغضون المظاهر الحسينيّة لما يعلمون فيها من جرّ الويل على أوليائهم، فإنّ تيسّر لهم المنع عنها بالقهر فعلوا، كما كانت عادتهم في الأزمنة السالفة، وفي زماننا أيضاً، وإن لم يتيسّر لهم كما في وقتنا هذا في غالب الأمكنة، أظهروا تارة النبز بالمظاهر المحترمة، وأخرى التمويه بأنّه لاطائل تحتها، وقد راجت هذه الكلمات على كثير ممّن ينتسب إلى التشيّع، لالخفاء المقصود منها، بل لميلهم إلى الدنيا ولذّاتها، وإعراضهم عن الدين، وإذا تركوا الحجّ والصلاة والصوم والزّكاة، فهُم للمظاهر الحسينيّة أترك. فشحذت الأقلام سيوفاً على وريد الشريعة، وسال المداد دماً أسود على وجه الحقّ ودين الشيعة، وجعلوا يلصقون العيب بالمظاهر المحترمة انتصاراً لقول قالوه وأمر التزموه. وفيما يلي رد لبعض التهم التي نسجوها والأباطيل التي لفقوها ليحذر منها شباب الأمة وطلاب الحق، والله من وراء القصد.

استحباب البكاء على الحسين(عليه السلام) في كلّ آن

قالوا: اتّخاذ الشيعة البكاء على الحسين دأباً وديدناً لها حتّى في أيام الأعياد، وليالي الزفاف، وساعات الأفراح، والسفر والحضر، وتفريغ نفسها للبكاء عليه بما لم تُفرّغ عشر معشار وقته لعبادة ربّها، وتلاوة ذكره، وهذا من الغلو والإفراط.

أقول: ان الشيعة ترى استحباب البكاء على الحسين في كلّ آن، كما ترى استحباب ذكر الله والصلاة على رسوله كذلك، على أنّا لو سلّمنا استغراق التعزية لجميع آنات الشيعة إلاّ ما خرج منها ضرورة، كأوقات النوم والأكل والاشتغال بعبادة واجبة مؤقتة، فأين الفرطة الدينيّة والغلو المحظور؟! أليست التعزية نوعاً من أنواع الطاعة لله يتقرّب العبد بها لربّه كما يتقرّب له بمناسك الحجّ؟ فهي محبوبة مطلوبة لله، فكيف يمقت الله محبوبه ويبغض مطلوبه؟! أيمقت الله عبداً إذا صام لله دهره وقام لله عمره؟! حاشا وكلاّ، فكذلك التعزية هي كالصوم والصلاة خير موضوع، فمن شاء استقل ومن شاء استكثر).

ثانياً: أنّ طول الحزن وقصره منوطان بكثرة فوائد القتيل وقلّتها، وهوانها وخطرها، وأنّ الناس كلّهم ينحون هذا النحو، فمنهم من يبكي فقيده ساعة موته، ومنهم من يبكيه أسبوعاً، ومنهم شهراً، ومنهم حولاً كاملاً، ومنهم عمره كله، ومنهم من يورّث الحزن لعقبة، كلّ ذلك واقع، فهو قاعدة مطردة بين عموم الناس، جارية على قانون شرعي محكم هو وجوب إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، والإفراغ بكلّ قدر قدره، امتثالاً لقوله تعالى: ((وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ)) ولمّا كان حقّ مولانا وسيّدنا الحسين(عليه السلام) على الأنام عامّة وعلى المسلمين خاصّة هو أعظم الحقوق الهامّة المستوجبة الأداء على العموم، المستغرق لحياتها بأسرها، فلا جرم نهضت الشيعة لتأدية هذا الواجب قيد وسعها، وقدر طاقتها، ومن أفرغ وسعه فقد أعذر، ولا معذرة لقاعد متكاسل عن أداء الفريضة وهو عليها قادر.

عزاء الحسين(عليه السلام) لا يلهي عن العبادة

قالوا: إنّ التعازي ملاهي للمتعبّد عن عبادته، وللكاسب عن كسبه، فهي حجر عثرة، وكدية مضرّة في سبيل إصلاح المرء نظامي معاده ومعاشه.

أقول: عجباً من قوم يرون قراءة التعزية لهواً وهي من صفايا العبادة الكريمة ولا يرون من الملاهي قراءة القصص الخرافية، والحكايات الخيالية، والجرائد الهزلية، والروايات الغراميّة والمجلاّت اللادينية وأضرابها، التي يشغلون جلّ نهارهم بقراءتها، ومعظّم ليلهم بمطالعتها، وكلّهم لاهيةٌ قلوبهم عن ذكر الله وإقامة الصلاة، فلا يقومون لها إلاّ كسالى كالذي يتخبّطه الشيطان من المسّ. وارحماه لك يا عزاء سيّد الشهداء ما هذا التحامل الثقيل الوطأة عليك؟!

الاجتماع في العزاء والبدعة

قالوا: الاحتشاد والاجتماع لنصب عزاء الحسين (عليه السلام) أمر حادث في أزمنة الصفويين والبويهيين، وكلّ حادث بدعة، والبدعة محرّمة، وكلّ محرّم يجب تركه، فيجب على الشيعة إلغاء الاجتماعات التي سنّتها لها السياسة الدولية.

أقول: أليس صحّ عن النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) قوله يوم عوده من أحد إلى المدينة وسماعه المناحة والبكاء من دور الأنصار على مستشهديهم ما هذا نصّه: «لكن حمزة لا بواكي له، فسمع أهل المدينة ذلك فجاءت نساؤهنّ إلى بيت فاطمة فأقمن مأتم حمزة عندها، ولم يقم لهم بعد ذلك مأتم إلاّ ابتدأنّه بحمزة ((الطبقات الكبرى ٢: ٤٤)).

ألم تجمع عائشة النساء عندها للبكاء على أبيها (المصدر السابق ٣: ٢٠٩).

ألم تجتمع عندها النساء يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لإقامة العزاء وقامت معهنّ تلتدم (مسند أحمد ٦:٢٧٤). والالتدام: ضرب الخد باليد في المصاب.

ألم يرد أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) قال لفضيل بن يسار: «أتجلسون وتتحدّثون، قال: نعم، جعلت فداك. قال: إنّ تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا» وهو يدلّ صريحاً أنّ الشيعة كانت زمن الصادق (عليه السلام) وقبله تحتشد وتجتمع لمأتم الحسين (عليه السلام) وما أبعده عن أزمنة الصفويين وآل بويه.

الصراخ والعويل في مجالس الحسين عليه السلام

قالوا: هلاّ اقتصرت الشيعة المقيمة مأتم الحسين (عليه السلام) على تلاوة مقتله في محاشدها العزائية وجلساتها الخصوصية، فتريق دموعها من غير صرخة وعويل لتسلم من الوقوع في المحرّم.

أقول: أوّلاً: أراكم تأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم، تحرّمون الصراخ والعويل بمآتم الحسين (عليه السلام) ولا تحرّمونه بمآتمكم فها أنتم كلّما فقدتم عزيزاً عليكم من كبرائكم تملأون المحيط ضجيجاً وصرخة وعويلاً.

ثانياً: هنالك اخبار عن ائمة الهدى تدل على وقوع البكاء والعويل عى مصيبة ابيهم عليه السلام منها ما رواه الكافي في فروعه ورواه غيره عن معاوية بن وهب قال: استأذنت على أبي عبد الله فقيل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاّه، فجلست حتّى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربّه ويقول: «يا من خصّنا بالكرامة... وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللّهم إنّي أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتّى نوافيهم على الحوض).

وبما ذكره الصدوق في عيونه عن دعبل الخزاعي أنّ الرضا عليه السلام ما زال يستنشده الرثاء بالحسين ويبكي، ونساؤه يصحن ويبكين من داخل الدار، وتنادي إحداهن: واجدّاه، والرضا يسمع صياحهن.

وخلاصة ما تقدّم جميعه هو مندوبية الحزن والبكاء والصراخ والعويل لمصاب الحسين(عليه السلام)، والسيرة القطعية قائمة على ذلك كلّه، كما اعترف بها شيخ مشايخنا صاحب الجواهر، والأخبار عن أهل العصمة بالغة حدّ الاستفاضة، فمن خالفها فقد خالف الأُمّة، والأئمّة ومخالفها في ضلال مبين.

الإنفاق في مجالس العزاء

قالوا: من الإسراف والتبذير المحظورين شرعاً إنفاق الشيعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في سبيل تعزية الحسين عليه السلام على أنحاء شتّى. فهل ذلك منهم إلاّ تبذير، والمبذّرون إخوان الشياطين بنصّ القرآن العزيز.

أقول: القوم يبغون عرض الحياة الدنيا ومقيموا العزاء يطلبون الآخرة: ((وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى))، بل لا خير فيها، هي غرّارة ضرّارة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام. فالشيعة تنفق ما تنفق في سبيل التعزية آخذة من الدنيا للآخرة، ومن طريقها إلى منزلها، لتنتفع به في مثواها الأبدي، ومقرّها السرمدي، والحادي لها على هذه النفقة لهذا الوجه من الخير هو ما بلغها عن ائمتها فعن أمير المؤمنين(عليه السلام): (إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا).

وعن الصادق عليه السلام أنّه كان يقول في سجوده: (اللّهم اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا).

وكلّ ذلك يفيد استحباب بذل المال في كلّ عمل تترتب عليه تلك الأمور، كالبذل في إقامة عزاء مولانا الحسين عليه السلام وكلّ درهم ينفقه الشيعي ترويجاً لمصاب أبي عبد الله، وإحياءً لأمره المطلوب إحياؤه بقولهم عليهم السلام: (أحيوا أمرنا رحم الله امرءاً أحيا أمرنا)، أي: أظهروه وأعلنوه بين الناس إكباتاً للعدو، وغيظاً للكافر، وتعظيماً للشعائر، فذلك الدرهم يُعتاض عنه بسبعين، إمّا عيناً في الدنيا أو ثواب سبعين في الآخرة، سواء كان إنفاقه في سبيل الإطعام وغيره من لوازم العزاء الذي فيه إكبات الأعداء المحبوب لهم عليهم السلام قطعاً.

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على محمد وأله الطاهرين، اللهم اجعلنا من المقيمين والحاثين على إقامة عزاء سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه.[1]

---

(١) راجع سيماء الصلحاء للشيخ عبد الحسين صادق العاملي. وكتاب إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة للشيخ عبد المهدي المظفر.

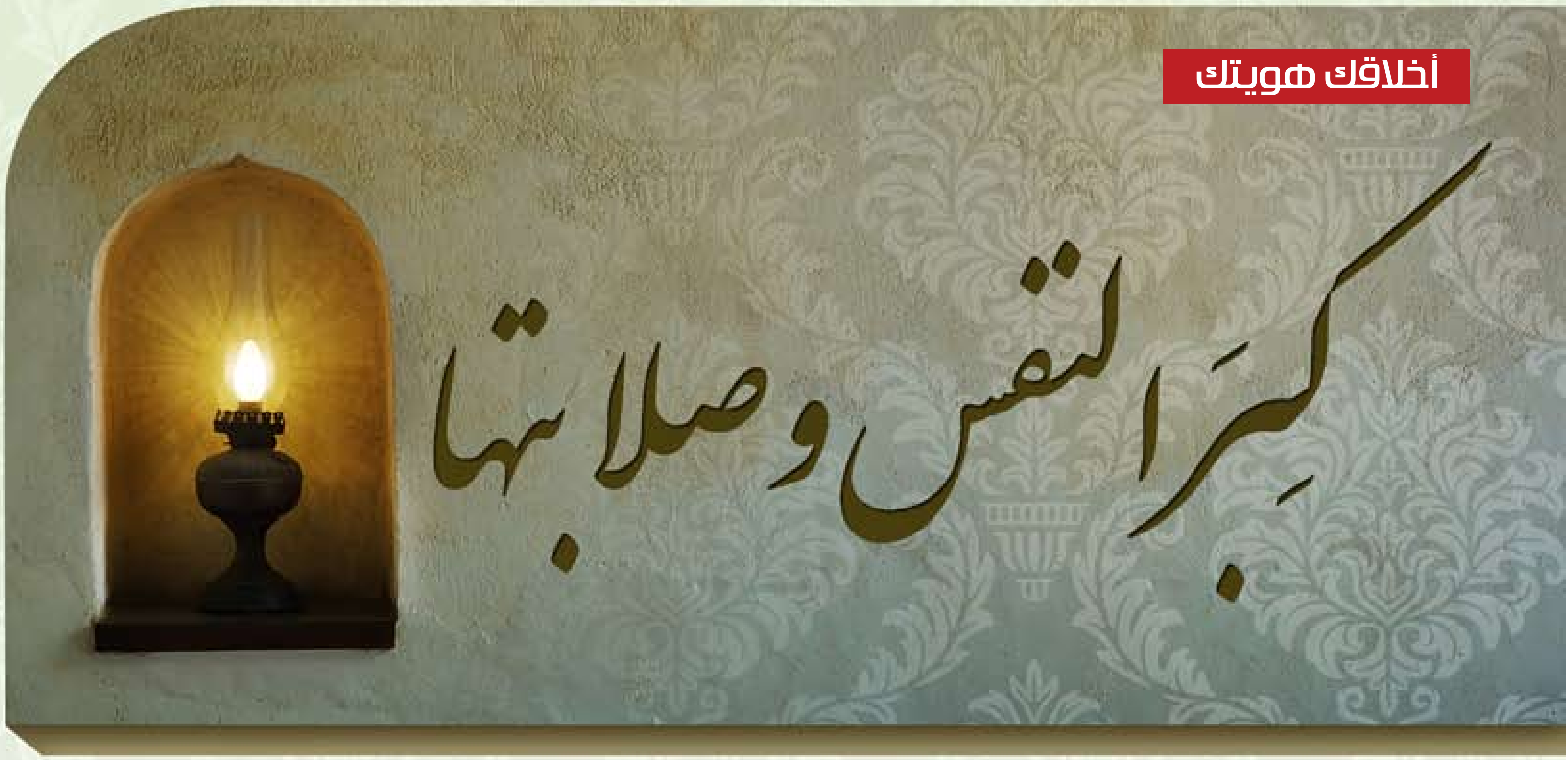

كِبَر النفس وصلابتها

أن المحتاج إلى تحصيل دواء الرجاء من غلب عليه اليأس فترك العبادة، أو غلب عليه الخوف فأسرف فيها حتى أضر بنفسه وأهله.

وأما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغرورون بما هم فيه من الفساد والخوف ـ كأكثر أبناء زماننا ـ فأدوية الرجاء بالنسبة إليهم سموم مهلكة، إذ لا يزداد سماعهم لها إلا تماديا في طغيانهم وفسادا في فسادهم وعصيانهم، فواعظ الخلق ينبغي أن يعرف أمراضهم وينظر إلى مواقع عللهم، ويعالج كل علة بما يضادها لا بما يزيدها، ففي مثل هذا الزمان ينبغي ألا يذكر لهم بواعث الرجاء، بل يبالغ في ذكر أسباب الخوف، لئلا يهلكهم ويرديهم بالكلية، ولا يقصد بموعظته استمالة القلوب وتوقع الثناء من الناس، فينتقل إلى الترغيب على الرجاء لكونه أخف على القلوب وألذ عند النفوس فيهلك ويهلكهم ويضل ويضلهم.

فالطريق إلى تحصيل الرجاء لمن يحتاج إليه هو: أن يتذكر الآيات والأخبار المتواترة الواردة فيه وفي سعة رحمته ووفور عفوه ورأفته، ثم يتأمل في لطائف نعمائه وعجائب آلائه لعباده في دار الدنيا، حتى أعد لهم كل ما هو ضروري لهم في دوام الوجود، بل لم يترك لهم شيئا جزئيا يحتاجون إليه نادرا يفوت بفقده ما هو الأصلح الأولى لهم من الزينة والجمال.

فإذا لم تقصر العناية الإلهية عن عباده في جميع ما يحب ويحسن لهم من اللطف والإحسان في دار الدنيا ـ وهي حقيقة دار البلية والمحنة لا دار النعمة والراحة ـ ولم يرض أن يفوته شيء من المزائد والمزايا في الحاجة والزينة، فكيف يرضى في دار الآخرة التي هي دار الفيض والجود بسياقهم إلى الهلاك المؤبد والعذاب المخلد، مع أنه تعالى أخبر بأن رحمته سابقة على غضبه؟!

وأقوى ما يجلب به الرجاء أن يعلم أن الله تعالى خير محض لا شرية فيه أصلا، وفياض على الإطلاق، وإنما أوجد الخلق لإفاضة الجود والإحسان عليهم، فلا بد أن يرحمهم ولا يبقيهم في الزجر الدائم.

صغر النفس

وهو ملكة العجز عن تحمل الواردات، وهو من نتائج الجبن، ومن خبائث الصفات.

وتلزمه الذلة والمهانة، وعدم الاقتحام في معالي الأمور، والمسامحة في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، والاضطراب بعروض أدنى شيء من البلايا والمخاوف.

وقد ورد في الأخبار بأن المؤمن بريئ عن ذلة النفس، قال الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلا: أما تسمع الله تعالى يقول:

((..وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ..))[1]

فالمؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا، إن المؤمن أعز من الجبل، الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه شيء».

وقال عليه السلام:

«إن الله فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه».

وقد وردت بهذا المضمون أخبار أخر، وعلاجه ما تقدم في معالجة الجبن سابقا.

كبر النفس وصلابتها

وضده ـ أي: صغر النفس ـ (كبر النفس وصلابتها)، وقد عرفت أنه ملكة التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان، وقد دلت الأخبار على أن المؤمن ذو صلابة وعزة ومهابة، وكل ذلك فرع كبر النفس.

قال الباقر عليه السلام:

«المؤمن أصلب من الجبل».

وقال عليه السلام:

«إن الله تعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال: العز في الدنيا والآخرة، والفلح في الدنيا والآخرة، والمهابة في صدور الظالمين».

وصاحب هذه الملكة لا يبالي بالكرامة

والهوان، ويتساوى عنده الفقر واليسار والغنى والإعسار، بل الصحة والمرض والمدح والذم، ولا يتأثر بتقلب الأمور والأحوال.

وهي ملكة شريفة ليست شريعة لكل وارد، ولا يصل إليها إلا واحد بعد واحد، بل لا يحوم حولها إلا أوحدي من أفاضل الحكماء، أو ألمعي قوي القلب من أماثل العرفاء. وطريق تحصيلها – بعد تذكر شرافتها – أن يتكلف في المواظبة على آثارها والاجتناب عما ينافيها، حتى تحصل بالتدريج.

الثبات أخص من كبر النفس

قد عرفت أن الثبات أخص من كبر النفس، وهو ملكة التحمل على الخوض في الأهوال، وقوة المقاومة مع الشدائد والآلام، بحيث لا يعتريه الانكسار، وإن زادت وكثرت.

وضده الاضطراب في الأهوال والشدائد، ومن جملة الثبات، الثبات في الإيمان، وهو اطمئنان النفس في عقائدها، بحيث لا يتزلزل فيها بالشبهات، قال الله تعالى:

((يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ...)).(٢)

وهذا الاطمئنان من شرائط كسب الكمال وفضائل الأعمال، إذ ما لم تستقر النفس على معتقداتها في المبدأ والمعاد لم يحصل لها العزم البالغ على تحصيل ما يتوقف فائدته عليها، فمن ليس له هذا الثبات لا تجده ثابتا ومواظبا على شيء من الأعمال الفاضلة، بل هو: (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران)، والمتصف به مواظب لها دائما من غير فتور.

وعدم هذا الثبات لعدم البصيرة الباطنة أو لضعف في النفس، فوجوده يحصل من المعرفة وقوة النفس، فهو من فضائل العاقلة وقوة الغضب، وعدمه من رذائل إحداهما أو كليهما.

دناءة الهمة

وهو قصور النفس عن طلب معالي الأمور وقناعتها بأدانيها، وهو من نتائج ضعف النفس وصغرها، وضده (علو الهمة)، وهو ملكة السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب معالي الأمور، من دون ملاحظة منافع الدنيا ومضارها، حتى لا يعتريه السرور بالوجدان ولا الحزن بالفقدان، بل لا يبالي في طريق الطلب بالموت والقتل وأمثالهما.

وصاحب هذه الملكة هو المؤمن الحقيقي الشائق للموت، والموت تحفة له، وأعظم سرور يصل إليه.

وهذه الملكة من نتائج كبر النفس وشجاعتها، وهي أعظم الفضائل النفسانية، إذ كل من وصل إلى المراتب العظيمة والأمور العالية فإنما وصل إليها لأجلها، إذ صاحبها لا يرضى بالمراتب الدنية، ويشمر لتحصيل المراتب العالية والأمور المتعالية، وفي جوهر الإنسان وجبلته أن يصل إلى كل ما يجتهد في طلبه:

((وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ..))(٣)

من طلب الشيء وجد وجد، ومن أفراد علو الهمة الشهامة، وهو الحرص على اقتناء عظائم الأمور توقعا لجميل الذكر على مر الدهور.

عدم الغيرة والحمية

وهو الإهمال في محافظة ما يلزم محافظته: من الدين، والعرض، والأولاد، والأموال.

وهو من نتائج صغر النفس وضعفها، ومن المهلكات العظيمة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا غير الرجل في أهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر، بعث الله إليه طائرا يقال له (القندر) حتى يسقط على عارضة بابه، ثم يمهله أربعين يوما، ثم يهتف به: إن الله غيور يحب كل غيور، قال هو غار وغير وأنكر ذلك فأكبره، وإلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه، فينزع الله منه بعد ذلك روح الإيمان».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«كان إبراهيم غيورا وأنا أغير منه، وجدع الله أنف من لا يغار على المؤمنين والمسلمين».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«يا أهل العراق! نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق، أما تستحيون؟».

وقال عليه السلام:

«أما تستحيون ولا تغارون، نساؤكم يخرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج؟».

الغيرة والحمية

وضده (الغيرة والحمية)، وهو السعي في محافظة ما يلزم محافظته، وهو من نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها، وهي شرائف الملكات، وبها تتحقق الرجولية والفحلية، والفاقد لها غير معدود من الرجال.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله لغيور، ولأجل غيرته حرم الفواحش».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

إن الله يغار، والمؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه».

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إن الله تعالى غيور ويحب الغيرة، ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها»(٣)

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
المصدر: جامع السعادات للمحقق النراقي.

القرآن وعدالة الله

القرآن وعدالة الله

يولي القرآن الكريم هذه المسألة اهتماماً كبيراً، فيقول في أحد المواضع:

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ)).

و في موضع آخر يقول:

((إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ...)).

وبالنّسبة إلى الحساب والجزاء يوم القيامة يقول:

((وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ...)).

(بديهي أنَّ القصد من الموازين هنا هي وسائل القياس، لا الموازين الاعتيادية).

الدّعوة إلى العدل

قلنا إنَّ صفات الانسان ينبغي أنَّ تكون انعكاساً لصفات الله، بحيث تنعكس صفات الله على المجتمع الانساني برمته.

وبناءً على ذلك فإنَّ القرآن، بقدر توكيده العدالة الالهية، يؤكد أيضاً سيادة العدل في المجتمع وفي كلّ فرد فيه، كثيراً ما يشير القرآن إلى الظلم باعتباره سبب فناء المجتمعات البشرية، ويرى عاقبة الظالمين من أفظع العواقب.

في معرض بيان مصير الاقوام السالفة يطلب القرآن من الناس أنَّ يعتبروا بتلك الاقوام وكيف نزل بها العذاب الالهي بسبب ظلمها وفسادها وقضى عليها، فيدعوهم إلى أنْ يتجنبوا مصير تلك الاقوام.

ويصرح القرآن بأحد مبادئه الرئيسة فيقول:

((إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ ...)).

من اللافت للنظر أنَّ الإسلام كما يرى الظلم عملاً قبيحاً، فكذلك تقبّل الظلم والخضوع له عمل مرفوض أيضاً، كما جاء في الآية ٢٧٩ من سورة البقرة: (لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ).

إن الاستسلام للظالمين يعني القبول بالظلم ونشره وإعانة الظالم عليه.

هل الكوارث والآفات مرتبطة بالعدالة الإلهية؟

منذ القديم كان فريق من الجهال يعترضون على عدالة الله، ويوردون حالات يعتقدون أنَّها لا تنسجم مع عدالة الله، بل أنَّهم لم يكتفوا النفي عدالة الله حتى اتخذوها ذريعة للدلالة على عدم وجود الله ذاته!

من تلك الحالات التي يستدلون بها على ذلك هي «الطوفانات» و «الزلازل» والكوارث الطبيعية الأُخرى، وكذلك «التفاضل» الموجود بين الافراد، ووجود الآفات التي تصيب الإنسان والنبات وسائر الكائنات في عالم الوجود.

هذا البحث قد يرد ضمن موضوع معرفة الله في قبال الماديين، وقد يرد في بحث الله عموماً، ونحن نورده هنا في موضوع العدل الالهي، ولكي تعرف مدى خطر تلك الشبهات عند التّحليل الدّقيق، لابدّ أنْ يكون لنا بحث مسهب بهذا الشأن وأن ندرس الأُمور التالية بدقّة.

الحكم النّسبي وقلّة المعرفة

إنَّنا نستند عادة في اصدار احكامنا وتمييز المصاديق على مدى ارتباطنا بالأشياء، كقولنا أنَّ الشيء الفلاني قريب أو بعيد، بالنسبة لموقعنا نحن، أو نقول أنَّ فلاناً ضعيف أو قوي بالقياس الى حالتنا النفسية او الجسمية، كذلك هي حال أغلب الناس عند اصدار احكامهم على القضايا الخاصة بالخير والشر والكوارث والآفات.

إذا نزل المطر في منطقة، فليس يعنينا تأثيره في المجموع العام، ولا تتعدى نظرتنا محيط حياتنا وبيتنا و مزرعتنا أو مدينتنا في الحدّ الأقصى، فإذا كان لهذا المطر تأثير ايجابي قلنا إنَّه نعمة من الله، وإذا كان تأثيره سلبياً، أطلقنا عليه اسم «البلاء».عندما يهدمون عمارة توشك على الانهيار لإعادة بنائها،

ولا يكون نصيبنا من ذلك سوى الغبار أثناء مرورنا بالمكان، نقول: ما أسوا هذا! على الرّغم من أنَّ المستقبل القريب سوف يشهد بناء مستشفى حديث على أنقاض العمارة المتهدمة يستفيد منه الناس، أو أنّ لهطول المطر في المثال السابق تأثيراً مفيداً

من حيث المجموع.

إنَّنا في أحكامنا السطحية المألوفة نعتبر لسعة الحيّة شرّاً، بغير أنَ نعلم أنَّ هذه اللسعة وما فيها من سم إنَّما هي وسيلة دفاع في هذا الحيوان، وإنَّ هذا السم نفسه يصنع منه دواء شاف قد ينقذ حياة الآلاف من بني البشر.وعليه، إذا أردنا تحري الدّقة وعدم

الوقوع في شراك الخطأ فعلينا أنْ نلقي نظرة على معلوماتنا المحدودة لكيلا نقيم أحكامنا على مجرد العلائق التي تربط الأشياء بنا، بل ينبغي أنْ ننظر إلى الأمر من جميع الجوانب بحيث تكون أحكامنا جامعة شاملة.

إنَّ جميع حوادث العالم، من حيث الأساس، أشبه بسلسلة مترابطة الحلقات، إنَّ العاصفة التي تهبّ اليوم في مدينتنا، والأمطار الغزيرة التي تهطل، حلقات في السلسلة المديدة التي ترتبط بحوادث تجري في مناطق أخرى، وكذلك ترتبط بحوادث جرت في «الماضي» وأخرى سوف تجرى في «المستقبل».

وعليه، فإنَّ وضع الإصبع على نقطة صغيرة وإصدار حكم حاسم بشأنها بعيد عن العقل والمنطق.

بعض أفعال الناس يمكن اعتبارها «شرّاً مُطلقاً» ولكن إذا كان الأمر من جهة خيراً ومن جهة شرّاً مع الغلبة للخير كالعملية الجراحية المؤلمة من جهة والمفيدة من جهات أخرى - يعتبر خيراً نسبيا.

وللتوضيح نعود إلى مثال الزلزلة: صحيح أنَّها تؤدي إلى الدمار في مكان معين، ولكننا إذا أخذنا بنظر الاعتبار علائق هذه الظاهرة المتسلسلة بأُمور أخرى في الطبيعة لتغير حكمنا.

هل الزلزلة ترتبط بحرارة باطن الأرض والأبخرة المتكونة فيه؟

أم أنها ترتبط بقوة جاذبية القمر التي تجذب ما على الأرض من جوامد نحوه؟ أم أنها ترتبط بكليهما؟ إنَّ للعلماء نظريات مختلفة بهذا الخصوص.

ولكن مهما كان السبب، فلابدّ لنا أنَّ ننظر إلى الآثار الأخرى لهذه الظاهرة، من ذلك، يجب أنْ نعرف تأثير حرارة باطن الأرض في تكوين منابع النفط الذي يعتبر من أهم مصادر الطاقة في عصرنا، وكذلك في تكوين الفحم الحجري و أمثالهما، وعليه فإنَّ حرارة باطن الأرض خير نسبي.

كذلك الأمر مع المدّ والجزر الحاصلين بتأثير جاذبية القمر لمياه البحار، إذ أنَّ لهما أهمية كبرى في حركة مياه البحار والإبقاء على حياة المخلوقات البحرية، وكذلك في إرواء السواحل الجافة في المناطق التي تصب فيها المياه العذبة في البحر، هذا أيضاً خير نسبي.

من هذا ندرك أنَّ أحكامنا النسبية ومعلوماتنا المحدودة هي التي تظهر أمثال هذه الحوادث بصورة نقاط مظلمة على صفحة الخليقة، وكلما تعمقنا في التأمل والتفكير في العلائق التي تربط هذه الحوادث ببعض أدركنا أهميتها.

يقول لنا القرآن المجيد:

((...وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا)).

فلا ينبغي لنا بعلمنا القليل هذا أنْ نتعجل إصدار الأحكام.

الحوادث المنغصة والتحذيرات

إنَّنا جميعاً نعرف أشخاصاً عندما غرقوا في نعمة ركبهم «الغرور» و «حبّ الذات» فنسوا - وهم في هذه الحالة - الكثير من واجباتهم الإنسانية.

كما إننا جميعاً نعرف أشخاصاً إذ كانوا متنعمين بالرّاحة والدّعة وسارت بهم الأمور على وتيرة واحدة من الهدوء والاستقرار، انتابتهم حالة من «السبات والغفلة»، و هي حالة إن دامت عندهم أدّت الى تعاستهم وشقائهم ولا شك أنَّ بعض الحوادث المنغصة هدفها وضع حد لتلك الحالة من الغرور وإيقاظ الإنسان من سبات غفلته.

لابدّ أنَّكم سمعتم بأنَّ سواق السيارات المجربين يشكون من الطرق الممهدة الصافية المستقيمة قائلين أنَّ هذه الطرق خطرة، وذلك لأنَّ رتابتها تحمل السائق على الشعور بالنعاس وفي هذه الحالة يكمن الخطر.

ولذلك نجد هذه الطرق في بعض البلدان قد اصطنعوا لها الانحناءات والمرتفعات والمنخفضات للحيولة دون وقوع السّواق في مثل تلك الحالات.

إن خطر مسار الحياة لا يختلف عن ذلك، فاذا خلت الحياة من المنعطفات والالتواءات والمنخفضات، واذا لم يعتورها أحياناً بعض المنغصات، استولت على الانسان تلك الحالة من نسيان الله والغفلة عن ذكره وعن القيام بالواجبات الملقاة على عاتقه.

و لا نقول طبعاً أنَّ على الإنسان أن يصطنع لنفسه الحوادث المنغصة وأنْ يستقبل الأحزان، وذلك لأنَّ أمثال هذه الحوادث موجودة دائماً في حياة الإنسان، ولكننا نريد التذكير بأن الحكمة في هذه الحوادث أحياناً هي الوقوف بوجه الغرور والغفلة والنسيان المعادية لسعادة الإنسان، نكرر القول بأنَّ هذه هي الحكمة من بعض تلك الحوادث، لا كلّها، إذ أنَّ هناك حوادث أخرى سوف نتحدث عنها إنْ شاء الله تعالى.

يقول كتابنا السماوي العظيم:

((...قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ)).

المصدر: سلسلة أصول الدين للشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

محمد بن عثمان بن سعيد العمري
السفير الثاني للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

كتب الشيخ عباس القمّي في تعريفه: أبو جعفر، باب الإمام الهادي عليه السّلام، وهو وكيل الناحية (المقدّسة - أي الإمام المهدي عليه السّلام -) في خمسين سنة، الذي ظهر على يديه من طرف المأمول المنتظر عليه السّلام معاجز كثيرة.. وكان أبو جعفر العَمْريّ - محمّد بن عثمان - وأبوه أبو عمرو - عثمان بن سعيد - جميعاً وكيلَين من جهة صاحب الزمان عليه السّلام.

وقفة على أمر

إنّ موضوع السفارة.. وهي الوكالة والنيابة في بعض الشؤون عن الإمام، موضوعٌ مرتبط مِن جهةٍ بعقيدة الإمامة، ومن جهةٍ أخرى مرتبط بأمر الغَيبة، وقد أراد الإمامان: الهادي والعسكري عليهما السّلام أن يُمهّدا للسفارة في غيبة ولدهما المهديّ عليه السّلام، فكان من ذلك أن عوّدا الناس على الغَيبة أوّلاً والسفارة ثانياً.. فغابا مدّةً محتجبَين عن أعين الناس بعد أن عيّنا لهما سفراءَ عنهما يُوصلون إليهما رسائل المُوالين فيها أسئلتهم وحوائجهم.

وبعدهما كانت غَيبة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فَرَجَه الشريف عام ٢٦٠ هجريّ إلى عام ٣٢٩ هجريّ. وهي الغيبة الصغرى. فكان له عليه السّلام خلالها أربعة نوّابٍ سفراء، ذلك بعد أن جدّ سلطان الجور في عصره في طلبه وقتله، فاحتجب الإمام وأقام لمُواليه نوّاباً عنه متعاقبين، جعلهم سفراء بينه وبينهم، يَخلُف بعضهم بعضاً.. حتّى وقعت الغيبة الكبرى وانقطعت السفارة. والسفراء الأربعة هم:

❖ عثمان بن سعيد العَمْري (السمّان).. رجل جليل القدر ثقة، له منزلة عظيمة، ممدوح على ألسنة أئمّة أهل البيت عليهم السّلام، وقبره في الجانب الغربي من مدينة بغداد في مسجد الدرب.

❖ محمّد بن عثمان العمري.. وسنأتي نقف عنده معرّفين به.

❖ الحسين بن روح النُّوبَختي.. أبو القاسم، شهرته في جلالته وعظمته تغني عن البحث والإطالة في شأنه، تُوفّي سنة ٣٢٦ هجرية، ودُفن في محلّة الشورجة بمدينة بغداد، وقبره معروف عليه قبّة، وهو جامع مأهول.

❖ عليّ بن محمّد السَّمَري.. المتوفّى سنة ٣٢٩ هجرية.

وبوفاة هذا السفير، كان الإمام المهديّ سلام الله عليه وآله قد دخل في غيبته الكبرى.. عجّل الله تعالى فرجَه، وفرَجَ آبائه وشيعته.

من هو محمد بن عثمان بن سعيد العَمري

قبل أن يكون وكيلاً (سفيراً) للإمام الحجّة بن الحسن المهدي عليه الصلاة والسلام، كان العمريّ - هو وأبوه - وكيلَين للإمامين الهمامين: الهادي والعسكري سلام الله عليهما، وكانا على درجةٍ عالية من الوثاقة، مقرَّبَين مأمونَين لديهما.

سأل أحمدُ بن إسحاق الإمامَ الحسن العسكري عليه السّلام:مَن أُعامل، وعمّن آخذ، وقولَ مَن أقول؟

فأجابه الإمام العسكري سلام الله عليه:

«العمريَّ وابنَه، ثقتان، فما أدّيا إليك فعنّي يؤدّيان، وما قالا لك فعنّي يقولان.. فاسمَعْ لهما وأطِعْهما؛ فإنّهما الثقتانِ المأمونان».

السفارة إليه؟

بعد وفاة أبيه رضوان الله عليه - أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري - خرج التوقيع الشريف من الإمام المهدي عليه السّلام - وهو ما يزال في غيبته المقدّسة الصغرى - إلى محمّد بن عثمان ابنه:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون؛ تسليماً لأمره، ورضاءً بقضائه.. عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً، فرحمه الله وألحَقَه بأوليائه ومَواليه عليهم السّلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزّوجلّ وإليهم، نضّر الله وجهه، وأقال عثرته».

وفي فصل آخر من رسالة الإمام عليه السلام:

«أجزَلَ اللهُ لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزيتَ ورُزينا، وأوحَشَك فراقُه وأوحَشَنا، فسَرَّه اللهُ في مُنقلَبه.. كان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى وَلَداً مِثلَك يَخلُفه مِن بعده، ويقوم مَقامَه بأمره، ويترحّم عليه.

وأقول: الحمد لله؛ فإن الأنفس طيّبةٌ بمكانك، وما جعله الله عزّوجلّ فيك وعندك، أعانك الله وقَوّاك وعضَدَك ووفّقك، وكان لك وليّاً وحافظاً، وراعياً وكافياً».

وعن عبدالله بن جعفر الحِميَري: لمّا مضى أبو عمرو (عثمان بن سعيد العمري) رضي الله تعالى عنه.. أتَتْنا الكتبُ - بالخطّ الذي كنّا نُكاتَب به - بإقامة أبي جعفر (محمّد بن عثمان) رضي الله عنه مَقامَه.

وعن محمّد بن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمّدَ بن عثمان العَمْري أن يُوصل لي كتاباً قد سألتُ فيه عن مسائل أشكَلَت

علَـيّ، فوقـع التوقيـع بخطّ مولانـا صاحب الـدار (وذكر الخبر وفيه خطّ الإمام المهدي عجّل الله تعالى فَرَجَه الشريف):

«وأمّا محمّد بـن عثمان العَمْري - رضي الله تعـالى عنـه وعـن أبيه مـن قبل ـ فإنّه ثقتي، وكتابه كتابي».

وكان مؤتَمَناً أميناً.

حـدّث محمّد بـن إبراهيـم بـن مهزيار الأهـوازي أنّـه خـرج - بعد وفاة أبـي عمرو (عثمان بن سـعيد العمري) -: والابنُ - وقاه الله ـ لم يَـزَل ثقتَنـا في حيـاة الأب ـ رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه - يجري عندنا مجراه، ويسدّ مَسدَّه، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل، تولاّه الله، فانْتَهِ إلى قوله، وعرِّفْه معاملتنا ذلك.

وهكـذا أجمعـت الشـيعة علـى وثاقتـه وعدالته واستقامته، وممّا جاء في ذلك: قال أبـو العباس: أخبرني هبة الله بن محمد ابن بنـت أم كلثـوم بنـت أبي جعفـر العمري عن شيوخه قالوا:

لم تزل الشيعة مقيمةً على عدالة عثمان بن سـعيد ومحمّد بـن عثمـان رحمهما الله تعالى إلى أن توفّي أبو عمرو عثمان بن سعيد رحمه الله تعالى وغسّله ابنه أبو جعفر محمّد بـن عثمان وتولّى القيام به، وجعل الأمر كلَّه مردوداً إليه، والشـيعة مجتمعة على عدالته وثقتـه وأمانتـه؛ لِما تقدّم له مـن النصّ عليه بالأمانـة والعدالة، والأمـرِ بالرجوع إليه في حياة الإمام الحسـن العسكريّ عليه السّلام وبعـد وفاته في حياة أبيه عثمان بن سـعيد، لا يُختلَـف في عدالتـه، ولا يُرتـاب بأمانتـه، والتوقيعـات تخـرج علـى يـده إلى الشـيعة في المهمّـات طول حياته بالخـطّ الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان، لا يعرف الشيعة في هـذا الأمـر غـيرَه، ولا يُرجَـع إلى أحـدٍ سواه. وقد نُقلَت عنه دلائل كثيرة، ومعجزات الإمـام ظهرت على يـده، وأمور أخبرهم بها عنـه زادتهـم في هـذا الأمـر بصيرة، وهي مشهورة عند الشيعة.

أخباره.. وآثاره

عن عبد الله بن جعفر الحِميَرَي: سـألت محمّـدَ بـن عثمـان رضـي الله عنـه: رأيـتَ صاحـب هذا الأمر؟ قال: نعم، وآخِرُ عهدي بـه عند بيت الله الحرام وهو عليه السّـلام يقول:

«اللهمّ أنجِزْ لي ما وعدتَني».

ورأيته متعلّقاً بأستار الكعبة في المُستجار وهو يقول:

«اللهمّ انتَقِمْ لي مِن أعدائك».

وعـن حالـة التسـتّر والكتمان في شـأن غيبة المولى صاحب الأمر عليه السّلام.. قال علـيّ بن صَدَقة القمّي: خرج إلى محمّد بن عثمان رضي الله عنه ابتداءً مِن غير مسألة لِيُخبرَ الذين يسألون عن الاسم (اسم الإمام الحجّة المهديّ صلوات الله عليه).

إمّا السكوتُ والجَنّة، وإمّا الكلام والنار! فإنّهـم إن وقفوا علـى الاسـم أذاعـوه، وإن وقفوا على المكان دَلُّوا عليه.

وقـد أخـبر محمّـد بـن عثمـان العمري بالأمـر الذي لا يقف عليـه إلاّ نبيّ أو إمام، كمـا أخـبر رضـوان الله عليـه أن الإمـام صاحـب الأمر حجّة الله المهديّ صلوات الله عليـه لَيحضـر موسـم الحجّ كلَّ سـنة.. يرى النـاسَ ويعرفهم، ويَرَونه ولا يعرفونه.

وأمّـا آثـاره وكتبه رضي الله عنـه.. فقد قـال ابـن نـوح: أخبرنـي أبو نصـر هبة الله ابـن بنت أمّ كلثوم بنت أبـي جعفر قال: كان لأبـي جعفر العمريّ محمّد بـن عثمان كتبٌ مصنّفـة في الفقـه، ممّـا سَمِعهـا مـن: أبي محمّد الحسن العسكريّ عليه السّلام، ومِن الصاحب عليه السّـلام، ومِن أبيه عثمان بن سـعيد عن أبـي محمّد العسـكري وعن أبيه عليّ بن محمّد الهادي عليه السّـلام، ذكرت الكبـيرة أمّ كلثـوم بنـت أبي جعفـر العَمريّ رضي الله عنها أنّها وصلت إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه عند الوصيّة إليه، وكانت في يده.

قـال أبو نصر هبـة الله: وأظنّهـا قالت: وصلت بعد ذلك إلى أبي الحسـن السَّـمَري علـي بن محمـد السـفير الرابـع رضي الله عنه وأرضاه.

ثمّ الرحيل

بعـد مهـامٍّ جسـيمةٍ وخطـيرةٍ أدّاهـا هذا السـفير المخلص بكلّ تضحيـة وأمانةٍ وإخـلاص.. كانت وفاته رضوان الله عليه في التاسـع والعشرين من شـهر جمادى الأولى سـنة أربـعٍ وثلاثمائـة أو خمسٍ وثلاثمائة للهجرة النبويّة الشريفة.

ورُوي أنّـه حفـر لنفسـه قـبراً وسـوّاه بالسـاج، ونقش فيه آياتٍ من القرآن الكريم وأسماءَ الأئمّة عليهم السّلام على حواشيه، فسُـئل عن ذلك فقال: للناس أسـباب. وكان في كلّ يوم ينزل في قبره ويقرأ جزءً من كتاب الله ثـمّ يَصعد، وسُـئل بعد ذلك كما ينقل العلاّمـة الحلـيّ في رجاله فقـال: أُمِرتُ أن أجمع أمري. فمات بعد ذلك بشهرين.

وحدّث أبو الحسن عليّ بن أحمد الدلاّل القمّـي أنّـه دخـل عليه يومـاً ليسـلّم عليه، فوجـده وبـين يديـه سـاجة ونقّـاش ينقش عليهـا ويكتب آيـاً مـن القرآن وأسماء الأئمّة عليهم السّـلام على حواشـيها، فسـأله عن الساجة فأجابه:

هذه لقـبري تكون فيه وأُوضَع عليها (أو قال: أُسنَد إليها).. وأنا في كلّ يوم أنزل فيه فأقرأ جزءً من القرآن فيه فأصعد.

ثـمّ أخذ العَمري بيد الدلاّل القمّي فأراه قبره.

أمّـا قـبره.. فيذكـر أبـو نصـر هبة الله أنّـه عند قبر والدته في شـارع بـاب الكوفة ببغـداد، في الموضع الـذي كانت فيه منازله، وهـو اليوم واقع في مقـبرةٍ كبيرة قرب درب سـلمان رحمه الله، ويُعـرَف عند أهل بغداد بـ(الشيخ الخلاّنيّ).

المصـدر: شـبكة الإمـام الرضـا عليه السـلام: رجال أضاءوا التاريخ، السفير الثاني.

وضوء أمير المؤمنين عليه السلام من ماء الجنة

روى موفق بن أحمد وهو من علماء أهل السنة والجماعة في كتاب مناقب أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ، قال: أنبأني مهذب الأئمة هذا أخبرنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن (أبي) عثمان (ويوسف) الدقاق، حدثنا أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي، حدثنا أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن الحجاج الطبري بسارية طبرستان، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد الجرجاني، حدثنا أبو (عيسى) إسماعيل بن إسحاق بن سليمان النصيبي، حدثنا محمد بن علي الكفرثوثي، حدثنا حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ صلاة العصر فأبطأ في ركوعه (في الركعة الأولى) حتى ظننا أنه قد سها وغفل، ثم رفع رأسه وقال:

«سمع الله لمن حمده».

ثم أوجز في صلاته وسلم، ثم أقبل علينا بوجهه كأنه القمر ليلة البدر في وسط النجوم، ثم جثا على ركبتيه وبسط قامته حتى تلألأ المسجد بنور وجهه ـ صلوات الله عليه ـ، ثم رمى بطرفه إلى الصف الأول أصحابه رجلا رجلا، ثم رمى بطرفه إلى الصف الثاني، ثم رمى بطرفه إلى الصف الثالث يتفقدهم رجلا رجلا، ثم كثرت الصفوف على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ثم قال:

«مالي لا أرى ابن عمي علي ابن أبي طالب؟».

فناداه: (يا بن عمي)، فأجابه علي ـ عليه السلام ـ وهو يقول:

«لبيك لبيك يا رسول الله».

فنادى النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ بأعلى صوته:

«ادن مني (يا علي)».

قال: فما زال (علي) يتخطى الصفوف حتى دنا (من) المصطفى، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ:

«يا علي ما الذي خلّفك عن الصف الأول؟».

قال:

«كنت على غير طهور، فأتيت منزل فاطمة فناديت يا حسن، يا حسين، يا فضة، فلم يجبني أحد فإذا بهاتف يهتف (بي) من ورائي وهو ينادي: يا أبا الحسن، يا بن عم النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ (التفت)، فالتفت فإذا أنا بسطل من ذهب وفيه ماء وعليه منديل، فأخذت المنديل ووضعته على منكبي الأيمن، وأومأت (إلى الماء) فإذا الماء يفيض على كفي فتطهرت وأسبغت الطهر، ولقد وجدته في لين الزبد، وطعمة الشهد، ورائحة المسك، ثم التفت ولا أدري (من وضع السطل والمنديل، ولا أدري) من أخذه».

فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في وجهه وضمه إلى صدره، وقبل ما بين عينيه، ثم قال:

«يا أبا الحسن ألا أبشرك أن السطل من الجنة، والمنديل من الفردوس الأعلى، والذي هيأك للصلاة جبرئيل، والذي مندلك ميكائيل ـ عليهما السلام ـ.

يا علي والذي نفس محمد بيده ما زال إسرافيل قابضا بيده على ركبتي حتى لحقت معي الصلاة أتلومني الناس على حبك؟ والله تعالى وملائكته يحبونك من فوق السماء».

المصدر: مدينة المعاجز للبحراني: ج١، ص١٦٣ ـ ١٦٥.

شرح الصحيفة السجادية

الحلقة التاسعة عشرة

الدعاء الأول

(..وَفَتَحَ لَنَا مِن أَبوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيّته،.....).

قيل: (وفتح لنا من أبواب العلم) من: للتبعيض، أي بعض أبواب العلم، (بربوبيته) حتى عرفناه سبحانه رباً لنا ولسائر الموجودات، فإنّ كل إنسان يعرف بفطرته أن للكون رباً وخالقاً(١).

وقيل: الظرف وهو قوله بربوبيته، إما أن يتعلق بقوله فتح، فإن الرب مأخوذ من التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ولا ريب في أن العلم من أشرف الكمالات، فلابد للمربي من أن يبلغ المربّى إلى مراتب العلوم المختلفة، من علوم الشرائع والأحكام، والعلم بأحوال العقول والنفوس والأجرام، وإما أن يتعلق بالعلم، أي بسبب العلم والمعرفة بكونه رباً فتح لنا أبواب العلم وعرفناه، ويجوز أن يراد بالأبواب الأئمة عليهم السلام، فإنهم الباب المأمور بالدخول منه بقوله تعالى: (واتوا البيوت من أبوابها)، وقوله عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»(٢).

وقيل: (وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته): أي الحمد لله على ما فتح لنا من أبواب العلم.

وقيل: إن الله تعالى فتح لنا ربوبيته بالإنسان الكامل الذي له مرتبة الجمعية، وهو الحقيقة التمامية المحمدية، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من رءاني فقد رأى الحق، ومن أطاعني فقد أطاع الله»، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»، والمراد به نفس النبي تحقيقا، لقوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم)، ولأنه مظهر لاسم الله الجامع للكل الأسماء المحيط بها، فمظهره مظهر الكل والمظهر الكل خليفة الله المفيض لجميع الكمالات من اسم الله على ما سواه، وذلك لأنا قلنا: إن الإنسان الكامل بمنزلة روح العالم والعالم جسده، والوجود والحياة والفيض والصفات الكمالية منه يصل إلى العالم، لاسيّما إلى الإنسان الذي هو الأشرف، فبنور هدايته كمّل النفوس وأخرجهم من القوّة إلى الفعل وأفاض عليهم العلم النوريّ وأفاد لهم الوجود الأخروي، فيكون ذاته علّةً لتحصيل ذواتهم بحسب الوجود البقائيّ والثبوت السرمديّ، والعلة الفاعلية للشيء أولى به من نفسه، والكمال أولى بالشيء من الإمكان والنقصان(٣).

وقيل: أبواب العلم: وجوهه، كأنّ كل وجه منها باب يدخل إلى العلم وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.

وقوله بربوبيته، متعلق به أي: العلم بأنه رب كل شيء، وهو في الأصل مصدر بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ثم وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وسمّي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربّيه.

وأن ابواب العلم بربوبيته سبحانه وإن كانت لا تحصى جهاتها غلا أنها تتحصر في ثلاثة أقسام تندرج تحت كل قسم مراتب غير محصورة، أولا: العلم الفطري، وهو حاصل للعوام أيضا إذ ما من أحد غلا ويعلم أن له ربا بحسب الفطرة الأصلية لما ركب فيه من العقل الذي هوالحجة الأولى وإن أنكر وجوده منكر، فإنما هو لغلبة الشقاوة المكتسبة المبطلة للإستعداد الفطري وهو مع ذلك يعترف به في حال الإضطرار، ثانيا: العلم بالنظر والاستدلال بالآثار وهذا القسم للخواص، ثالثا: العلم بالكشف والشهود الذي هو عين اليقين وهذا القسم لخواص الخواص الذين يعرفون الحق بالحق، ويحتمل أن يكون المراد بأبواب العلم الهداة إليه والدالين عليه إذ كان العالم يتأدى بهم على مدينة العلم(٤).

وقال الشاعر عبد المنعم الفرطوسي:

فاتحاً للعلوم باباً عليه
شاهداً أنّه إلهُ العلاء(٥)

---

(١) شرح الصحيفة السجادية للسيد الشيرازي: ص٢٠.

(٢) نور الأبصار في شرح الصحيفة للسيد الجزائري: ص٣٥.

(٣) لوام الأنوار العرشية للسيد محمد باقر الشيرازي: ص٤٣٩ ـ ٤٤٠.

(٤) رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية للسيد علي المدني: ص٣٢٠ ـ ٣٢٢.

(٥) الصحيفة السجادية بنظم الشاعر عبد المنعم الفرطوسي: ص٢٢.

منزلة الأب

لا يوجد أن طلب الولد استمرار النسل هو من أهم اهداف الزواج وبناء الاسرة. وعندما نتمعن في الروايات الاسلامية نراها تذكر شروط معينة، على الزوج والزوجة بأن يطلبا الولد لدى إقامة العلاقة الزوجية بل ذكرت ادعية خاصة لدى ممارسة العلاقة الجنسية.

ويذكر الإسلام في مجال إختيار الزوجة شروطا معينة منها التزوج من الولود والابتعاد عن العقبة، فالأصل هو طلب الولد، ويجوز الطلاق - رغم كراهته - فما لو كان أحد الزوجين عقيما.

وتؤكد الاحاديث التي تقرأ عادة في مراسم الخطبة والزواج على تكثير النسل ((تناكحوا، وتناسلوا، وتكاثروا....)) وجاء في القرآن الكريم على لسان زكريا دعاؤه : رب هب لي من لدنك وليا يرثني.

وأخيرا فثمة أحاديث كثيرة توصي الرجال الصالحون والنساء الصالحات بتوفير المقدمات للحصول على الولد، حتى ان القرآن الكريم عبر عن الموت الرجل الذي لا يملك ذرية بالهلاك.

أشارت دراسات علماء النفس انّه لا توجد غريزة تسمى بالابوة، فعلاقة الأب مع ولدة والدفاع عنة لها بعدا ثقافيا ودينيا واخلاقيا لكنة يبقى هناك شعور لدى الرجل بأنة اصبح أبا، فألابوة هي شعور لدى الفرد، والطفل هو كالغذاء الروحي لوالده حيث يدرك الشخص الذي اصبح لتوه ابا بانه اصبح الان ذي مكانة خاصة لم يكن يملكها من قبل ولا يملكها العزاب ايضا.

ويتجلى له هذا الشعور انه اصبح انسانا كاملا وقادرا على العيش مرفوع الرأس.

فألابوة تهب الانسان شعورا بالقوة بحيث يرى في نفسه الكفاءة الكاملة لنيل احترام الاخرين. ولا يصبح الرجل رب اسرته إلا في ظل الابوة، ويرى في نفسه القابلية واللياقة والجرأة والشجاعة للتخطيط للحياة من اجل سعادته شخصيا وافراد اسرته.

أهمية الولد للاسرة

من جانب آخر، فالولد يمثل نعمة للاسرة لقيامه بالتقريب بين الاب والام وزيادة الالفة بينهما ورفع منزلة كل طرف لدى الاخر.

كما انه يهب الدفء والنشاط الى الاسرة ويبعد عنها المشاكل والاختلافات ويقصر الايام الطويلة بسبب تسلي الوالدين بطفلهما، ونشاطهما على انفسهما فقط مع شعورهما باليأس الدائم.

فالطفل الذي هو بمثابة نتاج جهد الأبوين يعد نوعا من الأجر والمكافأة لهما.

شروط الابوة

يؤدي الزواج الى تسكين الغرائز وتنظيم الحياة وتحقيق المودة والرحمة والمحافظة على النسل، وقلنا إنه وردت تأكيدات عديدة على التكاثر وامتلاك الاولاد، لكن الموضوع ليس بهذه السهولة والبساطة، إذ لا بد من الحذر والالتفات الى ثقل المسؤلية في المرحلة القادمة.

ان ممارسة الابوة والقيام بالوظائف الاسلامية في هذا المجال تعتبر عملية معقدة جدا ومن دواعي الفخر أن يكون الانسان واعيا لمسؤولية بهذا الخصوص، فالابوة تعني ان يكون الانسان أمينا لخالقة، وعلية ان يكتشف عن مهارتة وكفاءته في اداء هذه الوظيفة طبقا لاوامره وتعاليمه جل وعلا.

ان امتلاك الولد وتربيتة لهي مسؤولية ووظيفة مقدسة، ولها التزامات شرعية وثواب وعقاب وتحتاج الى الجرأة عن المبادئ التربوية والاصول الاخلاقية ولا يبتزمون بشيء منها.

لا بد من الاهتمام بالظروف التي توفر سلامة النشئ وتوفر في بنائه ايضا، فقد سال بعض الاصحاب الامام الباقر عليه السلام عن الرجل المسلم تعجبه المرأة الحسناء أيصلح له يتزوجها وهي مجنونة؟ قال: «لا، ولكن إذا كانت عنده امة مجنونة فلا باس بأن يطأها ولا يطلب ولدها».

مكانة الأب

للاب مكانة مهمة في الإسلام، وله مقام شامخ ومنزلة كبيرة. والأب كلمة عامة ويمكن أن نفهم منها إنها تعني الإشراف والاحترام والهيبة والوفاء والمرتبة الرفيعة، وتعني أن له كلمة الفصل وبيده فقط

القرار النهائي، وتتطبق هذه المفاهيم والصفات على قائد الأمة والشعب أيضا ويمكن تسميته بالأب.

إنها لمنزلة عظيمة أن يكون الإنسان أمينا لخالقة، وينبغي عليه أن يربي ولده ويوجهه لانه هبة الخالق، ويا له من مقام عظيم.

أن يكون الاب، رب اسرته فيخضع له افراد الاسرة في الرأي ويهيئ لهم رزقهم، كما وله دور مهم أيضا في تحديد مصير المجتمع من خلال تربيته لولده الذي سيكون إما قائداً أو مقودا صالحا.

فالفخر والاصلاح الذي يصيب المجتمع إنما يكشف عن الجهود الخيرة التي يبذلها الآباء لتربية اولادهم فتنشأ الاجيال الصالحة.

الإسلام واحترام الأب

ذكر الإسلام منزلة عظيمة واحتراما خاصا لأولئك الآباء الذين يؤدون مسؤوليتهم الإسلامية في مجال تربية ابناء صالحين.

ونضرا لاهمية هذا الامر فقد ذكرت الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة:

ـ لا بد من طاعة الاب في قراراته ولا يمكن معارضته والعمل بدون موافقته إلا في الواجبات الدينية.

ـ لايحق للولد إهانة والده ابدا ولا ان يقول له حتى كلمة (أف).

ـ على الولد ان يخفض لوالديه جناح الرحمة.

ـ على الولد ان يدعو بالخير لوالديه، ويطلب لهما الرحمة.

ـ لا يحق للولد ان يقوم بالمستحبات كالزيارات والنوافل من الصلوات فيما لو منعة والده من ذلك.

ـ للاب حق الاولوية في تعيين مصير ولده.

ـ لا يشم العاق لوالديه رائحة الجنة.

ـ حرمة الاب كحرمة الخالق جل وعلا فلا يجوز الاستهانة بكرامته ابدا.

الأب في اسرته

لا تعني الابوة الكشف عن القوة واظهار النفوذ والمكانة فحسب، بل لا بد من الاهتمام بالاسرة والاولاد وتدبير مختلف امورهم، وتتضح مكانة الاب وشانه من خلال اشرافه على عائلته وتوفير معاشها وحمايتها من الاخطار والا فلا قيمة لذلك الاب الذي لا يبالي بهذه الامور ابدا ولا يؤدي وظيفته.

فالاب هو سيد الاسرة ومصدر افتخارها وسرورها والمشفق عليها، وهو كملائكة الرحمة التي تنزل على البيت إذ نراه يبذل جهده وسعيه من احل بناء ورشد افراد اسرته وتوجيههم نحو طريق الخير والفضيلة

يوفر الاب كل ما تحتاج اليه الاسرة ويعطف على اطفالة ويحترمهم ويستفسر عن احوالهم فردا فردا، ويحل مشاكلهم ويبذل جهده من اجل خدمتهم، ولا ينبغي التأثير سلبا او الاضرار بهم.

إنه مصدر للبهجة والرحمة قبل ان يكون مصدرا للخوف والنقمة، فلا يظلم اهل بيته ابدا، حيث يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الشأن: «خير الرجال من امتي الذين لا يتطاولون على اهليهم ويحنون عليهم ولا يظلمونهم».

مخاطر الممارسة السيئة

ان الاب هو المسؤول عن شخصية اولاده، فيكون القدرة لهم في العمل. إنّه اول وجه سيتعرف علية الطفل في مهده بعد امة، ومن ثم سينظر اليه فيما بعد انة المسؤول عن الأمن والنظام داخل الاسرة، وانه الرازق والقوي والملاذ.

لا يقل دور الاب عن دور الام بل قد يفرقه احيانا، ولوقار الاب وهيبته وامره ونهيه دور في الحياة، ويحسب له الطفل الف حساب ولا بد ان يكون الامر كذلك، فهو الذي يوجه اطفاله وينضم حياتهم، وسيتمكن الاولاد من الاعتماد على انفسهم واتخاذ المواقف المناسبة حيال الحوادث المختلفة فيما لو عمل الاب بمسؤولية ونجح فيها. اما لو قصر في ذلك فإن الانحراف سيكون مصير هؤلاء الاولاد.

فما اكثر الذين لجأوا الى الانحراف والاجرام بسبب عدم امتلاكهم لآباء الصالحين او اولياء قادرين على بنائهم وتوجههم، وما اكثر المجرمين والمنحرفين الذين ملكوا آباء لكنهم لم يمارسوا دورهم ولم يعملوا بمسؤوليتهم وفرطوا بتربية اولادهم.

المصدر: دور الأب في التربية، الدكتور علي القائمي: ص٢٥ ـ ٣٠

فليكن كل عملك لله تعالى

قيل: إن رجلاً مر بشجرة تعبد من دون الله تعالى، فأخذ فأسه وركب حماره وتوجه نحو الشجرة ليقطعها، فلقيه إبليس في الطريق على صورة إنسان فقال له: إلى أين؟

فقال الرجل في جوابه: هناك شجرة تعبد من دون الله تعالى فعاهدت الله على أن أركب حماري وآخذ بفأسي وأتوجه نحوها لأقطعها.

فقال له إبليس: ما لك ولها، دعها.

فلم يرجع.

فقال له إبليس: ارجع وأنا معطيك كل يوم أربعة دراهم فترفع طرف فراشك وتأخذها.

فقال له: أو تفعل ذلك؟

قال: نعم ضمنت لك ذلك كل يوم.

فرجع إلى منزله فوجد ذلك المال تحت فراشه يومين أو ثلاثة، فلما أصبح بعد ذلك رفع طرف فراشه فلم ير شيئاً.

ثم جاء يوم آخر فلم ير شيئاً، فأخذ الفأس وركب الحمار وتوجه نحو الشجرة، فلقيه إبليس على صورة إنسان فقال له: أين تريد؟

قال: شجرة تعبد من دون الله تعالى أريد أن أقطعها.

قال له إبليس: لا تطيق ذلك، أمّا أول مرة فكان خروجك من غضبك لله تعالى فلو اجتمع أهل السماء والأرض ما ردوك عنها، وأمّا الآن فإنما خروجك من حيث لم تجد الدراهم، فإن قدمت لأدقّن عنقك.

وفي رواية أخرى: إن العابد والشيطان في المرة الأولى تلازما فصُرِع الشيطان، وهو صَرَع العابد في المرة الثانية، فرجع إلى بيته خائباً وترك الشجرة.

قل خيراً أو أسكت

عـلامٌ من علماء الدين، طيب النفس، حسن الأخلاق، اسمه الشيخ إبراهيم بن مظفر النجفي، خرج إلى مدينة البصرة بعد أن اتمّ مراحل جيدة من الدراسة في حوزة النجف الدينية.

فاستقر هناك بين الناس داعياً إلى الحق ومبشراً بتعاليم الإسلام، يبلّغ الناس أحكامهم الفقهية على ضوء فتاوى أستاذه آية الله العظمى الشيخ محمد حسين الكاظمي.

استطاع هذا العالم بروحه الاجتماعية، وإطعامه الطعام، وإفشائه السلام، ورحابة صدره، وطلاقة وجهه، أن يكسب العديد من الناس ومن مختلف الشرائح.

وكان تقدّمه هذا سبباً لأن يحسده بعض الوشاة، فجاؤا على أستاذه آية الله الكاظمي، قالوا: إنه يسيء إلى سمعة علماء الدين، حيث يعيش الغنى والترف والبذخ، في الوقت الذي ينبغي أن يكون العالم زاهداً!

فتأثر الشيخ الكاظمي بهذا الكلام، وعزل الشيخ عن منصب الوكالة الشرعية! ولكن سرعان ما أدرك الحالة فضيلة السيد ميرزا الطالقاني النجفي حيث ذهب إلى الشيخ الكاظمي رحمه الله وشهد بوثاقة الشيخ إبراهيم، وحُسن تصرفه في البصرة، فعالج بعض ما تداخل الشيخ الكاظمي من الشك فيما نقل إليه الوشاة، فأقرّه على منصب الوكالة وخاب ظن الوشاة.

وهكذا ينقذ الموقف أولئك المبادرون إلى الإصلاح، وهل يبعث الله ذوي الهمم الإصلاحية في المؤمنين اليوم ليقطعوا دابر الوشاة المعاصرين؟ ذلك هو المأمول.

ففي الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليَمسك».

المصدر: قصص وخواطر للشيخ البحراني: ص٢٤٧، برقم ١٩١.

مرض الإكتئاب
أسبابه وطرق علاجه

الإكتئاب (Psychiatric Diseases) هو اختلال نفسي وانخفاض في التفاعل والمزاج، يرافقه أعراض نفسية مثل التخيلات والأوهام والتي يسبب خلل في الوظيفة الاجتماعية أو العائلية.

أسباب الإكتئاب

هناك عوامل مباشرة تسبب الاكتئاب، وهناك عوامل تحفز حدوثه لدى المصاب، فتتداخل العوامل مع بعضها و تؤدي للإصابة، ومن أهم هذه الأسباب والعوامل:

١ ـ الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة: مثل حالات وفاة الأعزاء أو الشعور بالوحدة أو المعاناة من أمراض مزمنة، فهذه تعتبر مجرد محفزات لحدوث حالة الاكتئاب وليست مسببات أساسية، بدليل أنه بعد زوال هذه العوامل تزول حالة الاكتئاب.

٢ ـ العامل الوراثي.

٣ ـ اختلال التركيب الكيميائي في المخ.

٤ ـ العوامل الهرمونية وأمراض الغدد الصماء.

أعراض الإكتئاب

١ ـ اكتئاب المزاج.

٢ ـ انخفاض الطاقة.

٣ ـ فقدان المتعة أثناء أداء الأنشطة المختلفة.

٤ ـ مشاعر الحزن أو التعاسة.

٥ ـ التهيج أو الإحباط، وحتى في المسائل الصغيرة.

٦ ـ انخفاض الدافع الجنسي.

٧ ـ الأرق أو كثرة النوم.

٨ ـ تغيرات في الشهية، وغالبا ما يسبب انخفاض الشهية وفقدان الوزن، ولكن في بعض الناس أنه يسبب الرغبة الشديدة في زيادة الأكل.

٩ ـ التهيج أو نوبات الغضب.

١٠ ـ انخفاض التركيز.

١١ ـ نوبات البكاء بدون سبب واضح.

١٢ ـ الأفكار المتكررة في الموت أو الانتحار.

علاج الاكتئاب

هنالك العديد من التدابير والأمور التي يمكن للمريض أن يقوم بها خلال ممارسته لنشاطاته اليومية والتي من شأنها أن تقلل من حالة الاكتئاب لديه، ومن أهم هذه التدابير ما يلي:

١ ـ الدعاء والتوسل بالله عزّ وجل والأئمة المعصومين عليهم السلام ومواجهة أمور الحياة بجدية وعقلانية ومنطقية، فيجب أن يعلم الإنسان ما يستطيع القيام به وما لا يستطيع القيام به فيجعل أهدافه منطقية حتى لا يصاب بالإحباط في حال عدم تمكنه من تحقيقها.

٢ ـ معالجة المشاكل والضغوطات اليومية التي يعاني منها المريض أولا بأول، وعدم تركها تتراكم بحيث يصعب حلها في نهاية الأمر.

٣ ـ الاسترخاء والابتعاد عن المشاعر السلبية التي من شأنها أن تضر بحالة المريض مثل مشاعر الغضب والغيرة والتوتر.

٤ ـ تعلم لغة الحوار والتحدث مع الأصدقاء وطلب دعمهم.

٥ ـ ممارسة أسلوب الحياة الصحي الذي يتضمن تناول طعام صحي متوازن وممارسة الرياضة وتجنب التدخين.

٦ ـ القيام بالنشاطات الترفيهية المفيدة التي من شأنها أن ترفع الروح المعنوية لدى المريض مثل القراءة والقيام بالرحلات والسفر والابتعاد عن الضوضاء وممارسة الرياضة.

سيصدر قريباً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية الكتاب الموسوم (الجمال في عاشوراء)، تأليف: السيد نبيل الحسني.
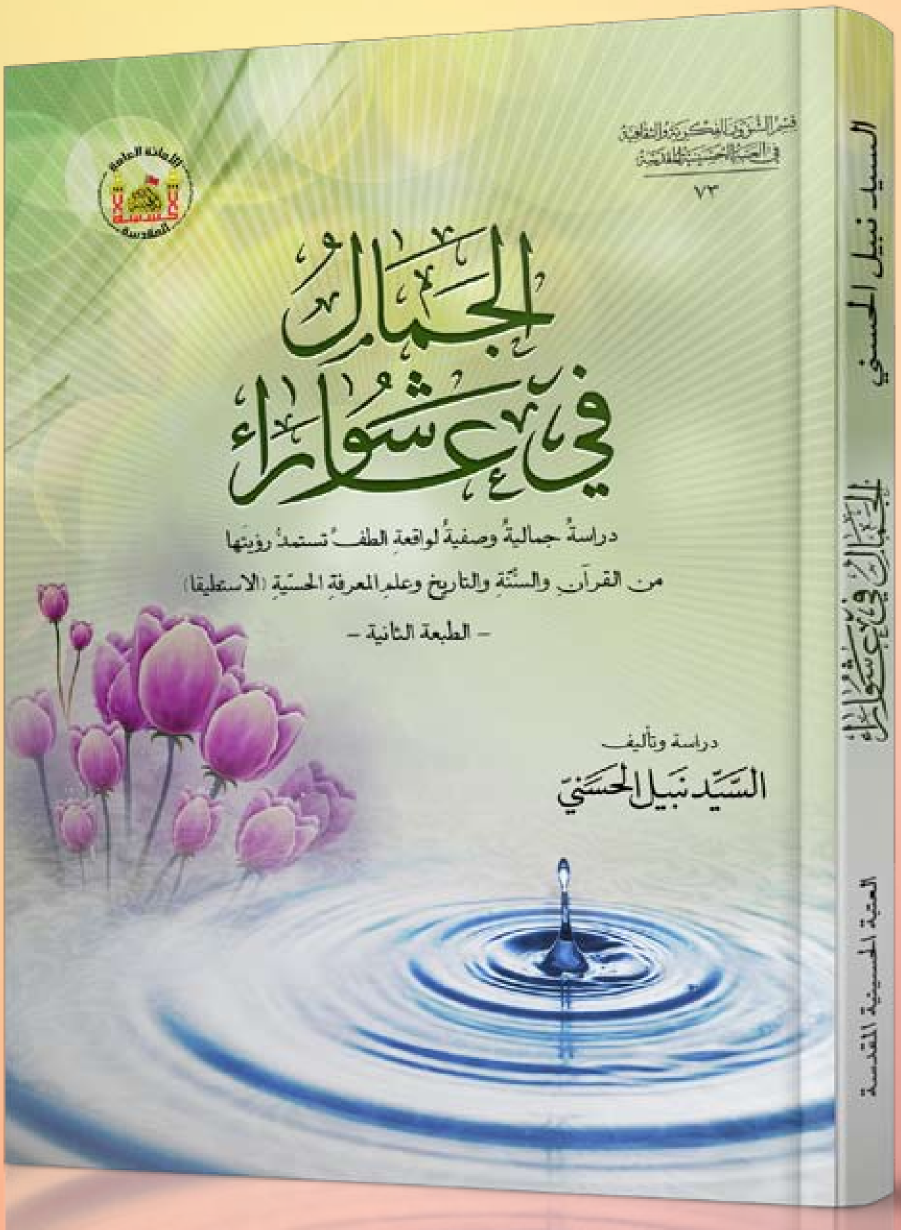
وهو دراسة جمالية وصفية لواقعة الطف تستمدُ رؤيتها من القرآن والسنة والتأريخ وعلم المعرفة الحسية